المقتطف

الجزء السادس من المجلد الثاني والثلاثين

١ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٧ — الموافق ٢٠ ربيع الثاني سنة ١٣٢٥

لورد كرومر

ليس غرضنا من هذه السطور ترجمة لورد كرومر وذكر اخلاقهِ ومزاياهُ التي امتاز بها وارائهِ السياسية واشغالهِ الادبية التي حاز بها قصب السبق على رجال السياسة في هذا العصر لان هذا الموضوع يقتضي كتاباً كبيراً . ولا غرضنا ان نستقصي ما عمل من الاعمال التي رقت مصر واوصلتها الى ما وصلت اليهِ الآن لان هذا الموضوع اوسع من الاول وتقارير لورد كرومر السنوية تتكفل ببيانهِ والذين يبصرون ويسمعون ويقابلون بين الماضي والحاضر يعرفون اكثر هذه الاعمال ونتائجها سواء اعترفوا بها او لم يعترفوا . وانما غرضنا ان ننظر نظرة عامة الى حال القطر المصري قبل الاحتلال وحالهِ الان ونقابل بين الحالين من بعض الوجوه الجوهرية التي لاشبهة في انهُ كان للورد كرومر اليد الطولى في تغييرها ثم نستطرد الى وداعهِ القطر المصري

زرنا هذا القطر قبيل الثورة العرابية ولقينا كثيرين من نوابغ رجالهِ حينئذٍ وتكرم الجناب الخديوي المغفور لهُ توفيق باشا بمقابلتنا كما قابلنا نظار حكومتهِ رياض باشا ومصطفى باشا ونخري باشا وعلي باشا مبارك ومحمود باشا سامي وتحدثنا معهم ملياً في احوال القطر المصري والقطر السوري وكثر اجتماعنا بالمرحوم الشيخ محمد عبده واصدقائهِ في الايام القليلة التي قضيناها في هذه العاصمة . ثم خرجنا من القطر المصري وقد رسخ في ذهننا مما رأيناهُ فيهِ وسمعناهُ من نخبة رجالهِ ان الضغط على النفوس بلغ اقصاهُ فكادت تتمزق وتنفجر انفجاراً لان الاسراف السابق ترك البلاد في العسر الشديد مديونة بمئة مليون من الجنيهات لم يصلها منها النصف ولم ينفق فيها مما وصلها العشر وهي مضطرة ان تحمل عبئها وتوفي رباها عدا الدين الاهلي الباهظ الذي اثقل كاهل الاهلين . واجود الاطيان قد خرج من ايدي مالكيهِ قسراً نصاروا اجراء فيهِ . وظهر الفرق حينئذٍ بين مصر والشام كظهورهِ الآن ولكنهُ كان معكوساً

كانت بلاد الشام متمتعة بالعدل تحاضر في سبيل الارتقاء مطلقة القلم واللسان تحبّر اقلام الاحرار جرائدها وترصّع السنة الخطباء منابرها. ومصر بلاد الضيم والضغط يحاول نفر من اهاليها اخراجها مما هي فيهِ فيجدونها مقيدة بالمشاكل المالية والامتيازات الاجنبية ويجدون جمهور الامة في حضيض الذل والعسر. ولحظنا حينئذٍ ان جماعة من الافّاقين يحاولون اضرام نار الثورة في نفوس ذلك النفر القليل من المتنورين ويمنونهم بما يتعذّر نيلهُ فتجمعت الاسباب وولدت الثورة

وقد يركب الخطب الذي هو قاتل   اذا لم يكن الاّ عليهِ معرَّجُ

واتت الجيوش الانكليزية فاخمدت الثورة واحتلت البلاد. وكان في الامكان ان تخرج منها بعد استتباب الامن ومعاقبة الثائرين وحل الجيش المصري وكان في الامكان ان تبقى فيها ولا تحرك يدًا في اصلاحها فتلبث على ما كانت عليهِ او تزيد تأخرًا فلا تكون الآن اصلح من بلاد الشام كما لم تكن اصلح منها قبل الثورة لان اهاليها ليسوا اعلى همة ولا اشد عزيمة من اهالي الشام ولا هم اعلى همة من العرب الصميم سكان اليمن والحجاز وحالهم الآن معلوم لكن قدَّر الله ان وكيل الدولة المحتلة اهتمَّ باصلاح البلاد بميل فطري فيهِ وايدتهُ دولتهُ في ما كان يرتئيهِ وقدَّر ايضًا ان الذين عليهم الاعتماد من رجال الحكومة وطنيين كانوا او غير وطنيين جاروهُ في هذا المضمار فتغلبوا على المشاكل السياسية والمصاعب الطبيعية والآفات الجوية ورقَّوا البلاد هذا الرقيّ الذي لم ترَهُ في عصر من عصورها السالفة

وضعت بعض الدول العراقيل في سبيلهم فلم تعقهم بل تغلبوا عليها وحولوا الجفاء الى صفاء. ثار السودان واستفحلت الثورة فيهِ فخرَّبت البلاد واهلكت العباد وتهددت مصر وكاد لسانها يندلع اليها وضنَّت محاكم مصر بخمس مئة الف جنيه تستخدم لانقاذ السودان ولكن صبر كرومر وهمة كتشنر وبسالة الجنود وقوادهم استردت السودان وردتهُ الى معالم الحضارة

قصَّر النيل عن الوفاء كما جرت عادتهُ في السنين الغابرة وبالغ في التقصير ولكن تقصيرهُ لم يفضِ الى جدب ومجاعة كما افضى في زمن يوسف الصديق وعبد اللطيف البغدادي لان حكمة كرومر ورجالهِ كانت اعدت العدة لهذا الشح ببناء الخزان الذي قاومهُ كل صاحب قلم من مدعي الوطنية كما قاوموا قبل ذلك اصلاح القناطر الخيرية . وتكرر مجيء الطاعون والكوليرا ووباء المواشي ووقوع الدودة والندوة في القطن وكل بلية من هذه البلايا كانت تكفي لاتلاف مصالح العباد ومعايشهم ولكن الاستعداد لطوارق الحدثان تغلَّب عليها فذهبت ولم توقع بالبلاد ضررًا يذكر او ازيل ضررها سريعًا بالمنعشات والمقويات التي اشار بها طبيب القطر ورجالهُ

وقد يظن غير المطلع على اعمال لورد كرومر انهُ كان ينظر في الكليات ويغضي عن

الجزئيات كاكثر الرجال العظام اما الواقفون على اعمالهِ فيعلمون انهُ كان ينظر في الكليات وفي الجزئيات ايضاً ولا سيما في ما يمثّل مبدأً . بلغهُ مرةً ان مستخدماً صغيرًا عُزل من غير محاكمة تثبت عليهِ ذنبًا يوجب عزلهُ فقال هذا استبداد يجب نزعهُ من البلاد واشتغل بامر هذا الرجل كأَن مسأَلتهُ من المسائل الدولية العظيمة حتى رسخ في اذهان اولي الامر الذين تعلقت المسأَلة بهم انهُ ما دام الاحتلال مؤيدًا فلا يمكن ان يسمح بما فيهِ اثر للاستبداد

واطّلع مرةً على تلغراف في جريدة يشكو صاحبهُ من انقطاع ماء الري عن قطنهِ في غير الميعاد ولغير سبب فطلب من مصلحة الري تحقيق ذلك حالاً ولما اتضح لهُ صدق الشكوى لامها لوماً عنيفاً ورفع ظلامة الشاكي

ويسهل ذكر المئات والالوف من امثال هاتين الحادثتين وكلها تدل على تفانيهِ في انصاف المظلومين وتوسيع معايش الناس لانهُ كان يعلم ان العدل في الرعية والاهتمام بمصالحها فرضان واجبان على اولياء الامور على حدٍ سوى واذا كانا مقامين في البلاد فالعوارض والاحداث تجيء وتذهب كغمامة صيف

ومعلوم ان المال قوام كل اصلاح والسبيل اليهِ توسيع مواردهِ والاقتصادُ في انفاقهِ. وقد بذل جهدهُ هو وكل رجال الحكومة الذين اتبعوا سياستهُ في اصلاح موارد الرزق وزيادة ريع البلاد وفي الضن بالمال الاَّ على ما لابدَّ منهُ من النفقات. وحسبنا النتيجة التي نجمت عن ذلك وهي انهُ تضاعف دخل الاهلين ضعفين او ثلاثة كما تشهد قيمة الصادر والوارد وتضاعف دخل الحكومة ايضاً بعد ان كانت البلاد والحكومة على شفا الافلاس. ومن شاء الاطلاع على تفاصيل ذلك فعليهِ بمراجعة الفصل الذي موضوعهُ السياسة المالية في تقريرهِ عن ١٩٠١ وقد نشر في المجلد ٢٨ من المقتطف تحت عنوان اصلاح القطر المصري

وجرى ارتقاء البلاد الادبي مع هذا الارتقاء المادي فعلم الناس ما لهم وما عليهم واهتموا بتعليم اولادهم واصلاح شؤُونهم وغاية ما نرجوهُ ان يستمرَّ هذا الاهتمام حتى يبلغ غايتهُ

الاَّ ان الاشتغال بمهام الامة زماناً طويلاً يضني اصح الاجسام واقواها بنية ولذلك استحكم السقم من جسم لورد كرومر هذا الشتاء فاوجب عليهِ اطباؤُهُ اعتزال الاشغال فاعتزل كما ذكرنا في الجزء الماضي وودعهُ اهالي القطر في الاوبرا الخديوية توديع عارف بقدرهِ ذاكر لجميلهِ وخطب في حفلة الوداع عطوفتلو مصطفى باشا فهمي رئيس النظار نيابة عن الوطنيين وجناب الكونت ده سربون نيابة عن الاجانب فاجابهما لورد كرومر بخطبة نفيسة استهلها بفقرات فرنسوية اجاب بها الكونت ده سربون ثم تكلم بالانكليزية فقال ما تعريبهُ

" ارجو ان تقابلوا اقوالي بالحلم والاغضاء فان خطابي هذا يكلفني جهدًا عظيمًا جسديًا وادبيًا . اما جسديًا فلانهُ يلزمني ان اجمع قوتي كلها لا خطب عليكم واما ادبيًا فلأَن اللطف الذي غمرني بهِ الناس على اختلاف طبقاتهم في الاسبوع الذي فات قد غلبني وحملني جميلاً كثيرًا ولاني اشعر بأَلم الحزن الشديد في نفسي على فراق هذه البلاد التي لي فيها اصدقاء كثيرون وبها تقترن كل الحوادث التي حدثت لي في خدمتي العمومية وكذلك الافراح والاتراح التي اصابتني في حياتي المنزلية ومعيشتي العائلية مدة جيل تقريبًا

(اسباب مفارقتهِ هذا القطر)

" اني لا افارق هذا القطر ايها السادة لاسباب سياسية وانما افارقهُ لان يد الدهر ابتدأَت تثقل عليَّ ولاني بعد ما قضيت في الخدمة العمومية نحو نصف قرن كنت في اكثرهِ اكدُّ كدًّا واعدو عدوًا يحقُّ لي الآن ان انال نصيبي من الراحة . ولاني اشعر ايضًا ان المهام والمصالح العظيمة التي يطلب من وكيل الدولة البريطانية السهر عليها في هذا القطر يكون السهر عليها الآن اوفى واتم اذا عُيّن لها من هو اصغر سنًّا وفي ابان قوتهِ ونشاطهِ عقلاً وجسدًا "

ثم اشار الى الذين كان لهم اليد الطولى في مساعدتهِ فذكر المغفور لهُ الخديوي توفيق باشا والمرحوم نوبار باشا ودولتلو رياض باشا وعطوفتلو مصطفى باشا فهمي واصحاب السعادة بطرس باشا غالي وسعد باشا زغلول والسر كولن سكوت منكريف والسر وليم جارستن والمسيو مسبرو والسر رجينلد ونجت باشا الى ان قال

" فبمساعدة الذين ذكرتهم ومساعدة كثيرين غيرهم اظن اننا عملنا عملاً غير رديء في ربع قرن من الزمن وان يكن فيهِ ما فيهِ من القصور والتقصير ولكن يقول لي قوم كثيرون ان المصريين بوجه الاجمال لا يعترفون كثيرًا بالجميل و بالمنافع والفوائد التي لا شك في انها مُنحت لهم فاجيب على ذلك اني لا اعرف ما يشعر بهِ المصريون من هذا القبيل ولكن فيلسوفًا فرنسويًا قال قولاً اورد معناهُ ولست اجزم باقتباس مبناهُ قال اذا قاسى شعب آلام الظلم والضيم طويلاً لم يكد يبقى لهُ طاقة على شكر الذين يخلّصونهُ منها

" ولا ريب ان اهل مصر قاسوا كثيرًا في ماضي زمانهم ومهما كان شعور المصريين وكانت حاساتهم ومهما برهن لي المبرهنون واقاموا عليَّ الحجة والدليل فلست بتاركهم يحجونني ليخرجوني من الوهم الشريف الذي انا فيهِ ان صحَّ انهُ وهم لا حقيقة واعني بذلك انهُ لا يمكن ان اصدق ان المصريين — او احسنهم على كل حال — ينكرون ان يد التمدن الغربي التي كانت تستعملها انكلترا لعمل عملها في الخمس والعشرين سنة الماضية هي التي نشلتهم من بالوعة

اليأس بعدما القاهم دهرهم فيها. وهب اني أُقنعت — وما انا بمقتنع مطلقاً — ان ابناء الجيل الحاضر لا يعترفون بهذه الحقيقة الجلية فاني لا ازال اؤَمل مع ذلك ان نسلهم يعترف بها

(الغرض السياسي)

"ايها السادة لما اتيت هذه الديار لاتقلد وظيفتي الحالية فيها وضعت نصب عيني غرضين وجعلت اسعي اليهما دواماً مدة اعوام طويلة احدهما سياسي والآخر اداري

"فالغرض السياسي الذي وضعتهُ نصب عيني هو ان اكون من جملة المساعدين على اعادة ذلك الاتفاق الذي قضت الاحوال بمسهِ بين فرنسا وانكلترا"

ثم افاض في ما بذل من السعي لاعادة الاتفاق الى ان قال—

"ولستُ ادعي اني كنت من اشهر واضعي ذلك الاتفاق بل اعترف ان الفضل في عقدهِ كان لارباب السياسة المتولين زمام الامور الخارجيَّة يومئذٍ في باريس ولندن وربما جاز لي من غير ان امس واجب الاكرام والاحترام ان اضيف اليهم مليكنا السامي النهى العظيم المواهب العقلية الذي نلت الفخر والامتياز بخدمتهِ السنيَّة (تصفيق) ولكن يسوغ لي ان اقول ان الجهد المتواصل الذي بذلهُ أُولو الشأن في مصر مدة اعوام طويلة لاجتناب كل ما يمكن اجتنابهُ من المنازعات ولفض كل الدعاوي والشكاوي الصغيرة التي نتجت عن احتلال بريطانيا العظمى لمصر — هذا كلهُ مهد طريق الاتفاق وسهل الامر على المتفاوضين فيهِ

(الغرض الاداري)

"واتكلم الآن عن الغرض الاداري الذي وضعتهُ نصب عيني فاقول اني سمعت في هذه الايام لغطاً ولغواً كثيراً عن ان حكومة مصر حكومة مستبدة ظالمة. فلا يهمني ان اطيل في الرد على مثل هذا الكلام بالتطويل بل اقول اني افرغت جهدي مدة خدمتي كلها بمصر في بث روح الحرية في نظام حكومة اقتضت الضرورة ان تكون حكومة "بيروقراطية" ولكني لم ادَّخر وسعاً في الاطلاع على حقيقة الرأي العام سواءٌ كان اوربياً او محلياً واعطائهِ حقهُ من الاعتبار والاهتمام وحسبي ان اترك لغيري الحكم في مقدار نجاحي من هذا القبيل

(الارتقاء الادبي والعقلي)

"ثم التفتُ الى امر آخر وهو اني اسمع قوماً يقولون ان مصر ارتقت ارتقاء مادياً عجيباً في الاعوام الاخيرة ولكن لم يعمل فيها شيءٌ لترقية اهلها ادبياً وعقلياً. عجباً ايها السادة كيف يقال ان مصر لم ترتقِ ادبياً؟ هل الحكم فيها اليوم للكرباج وحدهُ كما كان في الايام الغابرة؟ هل السخرة (العونة) باقية فيها ولم تطوِ الايام عليها؟ هل لعنة الرق لا تزال حالَّة عليها ولم

تزُل عنها ؟ اليس كل شخص فيها من الامير الى الصعلوك الحقير سواء امام القانون ؟ الم ينشط الناس فيها الى السعي والكسب ؟ اليس اصغر الناس فيها يجنون اليوم ثمار سعيهم ويتمتعون بما يحصلونهُ بعرق جبينهم ؟ اليس من الحقائق المقررة ان العدالة لا تشرى وتباع اليوم وان كل انسان حرٌّ — بل ربما ظن قوم انهُ حرٌّ اكثر مما يجب ان يكون — في المجاهرة بآرائهِ والتعبير عما في ضميرهِ · وان سلطان " البخشيش " قد ثلَّ عرشهُ وعزل عن مقاماتهِ العليا في الحكومة ولم يبقَ لهُ اثر الاَّ في اخرباتها وضواحيها وان ماء النيل الذي يحيي الاراضي ويأتيها بالخصب يوزع على الامير الخطير والفلاح الفقير بالقسط والعدل · وان المرضى يمرَّضون ويعالجون الآن في مستشفيات مستكملة العدد ووسائط الراحة . وان المجرمين والمجانين لا يعاملون الآن معاملة الوحوش الضارية حتى الحيوان الاعجم لم يفت الرفق بهِ عناية المصلحين . وان اشتراك الحكام والمحكومين في المصالح اصبح امرًا مقررًا عند الفريقين قولاً وفعلاً . وان كل عمل تعملهُ الادارة وان كان خطاء — اذ العصمة لله وحدهُ — تكون آثار حسن القصد بادية عليهِ ورغبة الحكومة في خير الاهالي ظاهرة منهُ · وان الاموال التي تؤْخذ من جيوب الذين يدفعون الضرائب والتي قلَّت كثيرًا عما كانت عليهِ تصرف الآن في الوجوه النافعة للبلاد بعد ما كان معظمها يصرف على بناء قصور لا منفعة لها ونحو ذلك من الامور التي لم تكن تهم السكان بوجهٍ من الوجوه · فان كانت هذه الامور كلها وكان غيرها مما يمكنني ان اذكر منهُ كثيرًا لا تعد ترقية ادبية فالحق يقال اني لا اعلم بعد ذلك ما المراد من قولهم آداب وادبيات (تصفيق طويل وهتاف شديد)

(تعليم البنات)

"ولكن يقول قوم ان عقول المصريين وآدابهم لم ترتقِ · فانكر هذا القول ايضًا انكارًا باتًا

"انظروا الى تعليم البنات فهل يظن عاقل انهُ يمكن لهذه البلاد ان تتشرب روح التمدن الحقيقي ما دام مقام المرأة غير متغير فيها ان كان احد يظن ذلك فاني اخالفهُ في ظنهِ كل المخالفة · ومع ذلك فانهُ منذ بضع سنين — والعهد غير بعيد — لم يكن احد يهتم بهذه المسألة غير صديقي سعادة يعقوب باشا ارتين وعزتلو قاسم بك امين وآخرين قليلين واما بقية الاهالي فلم يكونوا يبالون بذلك بل انهم كانوا ضدهُ فانظروا التغيير الذي حصل الآن لم يبقَ عند الحكومة المصرية مدارس تسع كل البنات اللواتي يروم والدوهنَّ تعليمهنَّ"

(التعليم الابتدائي)

"وانظروا ايضًا الى التعليم الابتدائي فان النظام الذي كان متبعًا قبل الاحتلال البريطاني

لم يكن يصلح لشيء ثم تغير ذلك ايضاً تغيرًا عظيماً لان الكتاتيب تنشأ في كل جهة من جهات القطر بعناية كثيرين من اعيان المستنيرين . وقد ابتدأت حركة اخرى تستحق الذكر لتعليم الصنائع للاهلين

(التعليم العالي)

" اما تعليم العلوم العالية واعني بها الحقوق والطب والهندسة وما شاكل فالتقدم فيها كلها مستمرٌ مطرد منذ اعوام

" نعم انهُ لو تيسر للحكومة المال الوافر منذ عشرين سنة لكان قد تمَّ اكثر مما تمَّ الآن كثيرًا ولكن عقدة القضية المصرية ان المال الذي كان للحكومة سبيل اليهِ لم يكن وافرًا بل لم يكد يكون كافياً مدة اعوام كثيرة لسدّ حاجاتها الضرورية

" على اني لا انكر ان البلاد لا تزال مفتقرة الى تقدم كثير ادبيًا وعقليًا وانا واثق ان المعارف ستتقدم وترتقي سريعًا على يد ناظر المعارف الحالي وجناب المستر دنلوب مستشارهِ

واشار الى ما ينتظر من الجناب الخديوي من اصلاح ديوان الاوقاف والمحاكم الشرعية وقال

" اخاف ان اكون قد اتعبتكم ايها السادة بطول الكلام ولكن كل ما قلتهُ كان عن الماضي فاذا تكرمتم عليَّ بالاصغاء فاني اقول شيئًا عن المستقبل

" ما هي حقائق الحالة المصرية الآن : اولاها في ان الاحتلال البريطاني يدوم الى ما شاء الله وقد قالت لنا حكومة جلالة الملك ذلك رسميًا . وثانيتها هي انهُ ما دام الاحتلال باقيًا فالحكومة البريطانية تكون بالضرورة مسأولة عن الخطة التي تجري عليها الادارة المصرية لا تفصيلاً بل اجمالاً . ولا يكن عند احد اقل ريب في هذه الحقيقة الثانية . والنتيجة التي استنتجها من هاتين المقدمتين هي ان نظام الحكومة الحالي دائم رغماً عمَّا يعتريهِ من العيوب والشواذ الكثيرة التي لا يعترف بها احد اكثر مني واظن انهُ ليس في الناس من هو اقدر على ضمان الدوام لهذا النظام من جناب السر الدن غورست خلفي المقتدر البارع

" بقي لي نصيحة اخرى احب ان اقولها قبل ان اجلس في مكاني وهي ان قولهم « الاتحاد قوة » لا يصدق على الذين هم في خدمة الحكومة فقط بل على جميع الذين يهمهم ادخال التمدن الحقيقي الى هذه البلاد . فالواجب عليهم ان يتحدوا معًا ولا اعني بذلك ان الانكليز والفرنسويين والالمان وسائر الاوربيين فقط يطرحون عنهم ما بينهم من المناظرة والمنافسة ويتحدون معًا في مصلحة واحدة بل ان جميع الذين يريدون ان تكون الحكومة حكومة عقل وان يكون تقدم البلاد مستمرًا دائمًا يتحدون جميعهم معًا سواءٌ كانوا مسلمين او مسيحيين

اوربيين او افريقيين او اسيويين ويقاومون القوات المجاهدة في سبيل التأخر والتقهقر حقيقة سواء كان جهادها عن جهل او عن عمد وقصد

"واشكركم ايها السادة في الختام على اصغائكم اليَّ بالصبر وطول الاناة هذه المدة التي قلت فيها كل ما اردت قولهُ ولا شك عندي ان الصعوبات لانزال كثيرة في سبيل المصلح المصري وخصوصاً السر الدن غورست ولكن آخر كلمة اقولها لهُ ولكم كلكم هي كلمة كان عبَّاد الالهة ايزيس في هذه البلاد كثيرًا ما ينقشونها على قبورهم بلغة القوم الذين هم اصل التمدن الاوربي والذين استوطن اناس كثيرون من ذريتهم هذه البلاد لخيرها والذين اعد منهم اصدقاء كثيرين لي - واعني بها لغة اليونان — ومعني تلك اللفظة اليونانية تشجعوا (تصفيق)

" فاودعكم ايها السادة وانا واثق ثقة تامة بمستقبل هذه البلاد التي كانت موطناً لي سنين هذا عددها والتي تأصلت جراثيم التمدن الحقيقي فيها على ما ارجو حتى صار يعسر استئصالها . اودعكم على الكره مني واستودعكم الله " (تصفيق طويل وهتاف شديد متكرر)

ولم يخرج لورد كرومر من هذا القطر حتى اهدى صورتهُ الى كثيرين من اصدقائهِ والذين يعلم انهم ساعدوهُ في ترقية البلاد وكتب الى بعضهم مكاتيب شكر فكتب الى احدنا محرر هذه المجلة يقول ارجو ان تقبل صورتي المرسلة اليك طي هذا كتذكار طفيف لعلاقاتنا السابقة ومعها شكري المخلص للمساعدة الكبيرة التي ساعدتَ بها مدة سنين كثيرة الارتقاء العقلي والادبي في هذه البلاد(١) وكتب بمثل ذلك الى احدنا محرر المقطم واهدى اليهِ كتاباً سياسيًّا من مكتبتهِ . وورد عليهِ الوف من الرسائل البرقية والبريدية من جماعات مختلفة في هذا القطر تعرب كلها عن اسف مرسليها لان انحراف صحتهِ دعاهُ الى ترك هذه البلاد وعمَّا يشعرون بهِ من الشكر لهُ على اعمالهِ العظيمة التي رقَّت القطر ادبيًّا وماديًّا

وكان لوداعهِ في المحطة احتفال عظيم جدًّا ولاستقبالهِ في مدينة لندن احتفال اعظم منهُ وقف فيهِ ولي عهد انكلترا واخو ملكها حاسري الراس ووزراء الحكومة الانكليزية وقواد جيوشها وكثيرون من ذوي المقامات العالية فيها ورحبت بهِ الجرائد والمجلات الانكليزية ترحيباً يدلُّ على انها تعدهُ اعظم رجل قام في الامة الانكليزية . ولا غرابة في ذلك لان العقلاء ينظرون بعين العقل الى النتائج الحاضرة والمستقبلة ايضاً والفضل يعرفهُ ذووهُ

---

(1) I hope that you will accept the enclosed photograph of myself as a slight souvenir of our past relations, and with it the expression of my sincere thanks for the powerful assistance which you have rendered for so many years to the cause of intellectual enlightenment and moral development in this country.

تاريخ المكروب

(تابع ما قبلهُ)

قال ارسطو اذا تحوَّلت الجوامد الى سوائل والسوائل الى جوامد تولد من هذا التحول حيوانات . وقال ڤرجيل ان النحل يتولد في احشاء العجل الفاسدة . وفي ايام لويس الرابع عشر لم يتجاوز العلم هذا الحد لان طبيبًا شهيرًا ضليعًا في الكيمياء وهو ڤان هلمونت كان يقول ان الروائح التي تتصاعد من اعماق البرك تولّد الضفادع والحلازين والعلق والطحالب وما هو من نوعها واذا ضُغط قميص وسخ على فوهة وعاء يحتوي على حبوب حنطة تولدت فيهِ الفيران وعلّل ذلك بان الخمير الحاصل من القميص الوسخ يتنوع برائحة الحب فيتحول الخمير الى فيران بعد واحد وعشرين يومًا واغرب من ذلك قولهُ انهُ شاهد ذلك عيانًا وان الفيران تولّدت بالغةً ذكورًا واناثًا وتولّد جنسًا بتناسلها . ومن غرائب اقوالهِ ايضًا اننا اذا ثقبنا ثقبًا في قرميدةٍ ووضعنا فيهِ حبقًا مسحوقًا واطبقنا عليهِ قرميدةً اخرى وعرضناها الى الشمس فبعد بضعة ايام تفعل رائحة الحبق فعل الخمير وتحول النبات الى سراطين حقيقية

ثم قام طبيعي ايطالي اسمهُ ردّي . وبحث في هذه المسأَلة بحثًا ادق واظهر ان الديدان التي تتولد في الرم انما تتولَّد من بزور او بيوض هوام تسطو على الرمة وتبيض فيها لاننا اذا لففنا الرمة بقماش قبل تعرضها للهواء بحيث يمتنع على الهوام وضع بزورها فيها فلا تظهر الديدان المذكورة . وبهذا ضعف حزب القائلين بالتولُّد الذاتي وانحصر البحث فيهِ في نطاق ضيق الى ان ظهر المكروسكوب وظهرت بواسطتهِ الكائنات المتناهية في الصغر فعادت المسأَلة الى الظهور وعاد الجدل فيها الى الاحتدام فاعترف زعماء التولد الذاتي بغلطهم في اصل الفيران والديدان ولكنهم قالوا ان لا سبيل للانكار ان الكائنات المكروسكوبية هي من فعل التولد الذاتي اذ لا يعلل بغيرهِ عن وجودها وتكاثرها في اي مادة حيوانية ونباتية في حال الانحلال . وكان بوفون من زعماء هذا الرأْي وكان مقامهُ في العلم دعامةً لهُ ثم دخل رجال الدين في البحث والجدل ومنهم من يثبت ومنهم من ينكر . ولا اتعرَّض هنا الى كل ما قيل بهذا الصدد واقتصر على البعض المهم من البحث العلمي الذي يوهم ظاهرهُ بصحة المبدإِ وهو ان بوشه مدير معرض التاريخ الطبيعي في روان ومراسل اكاديمية العلوم ارسل سنة ١٨٥٨ تقريرًا الى الاكاديمية يقول فيهِ انهُ يثبت بالامتحان ان الكائنات المكرسكوبية تظهر الى الوجود بدون جراثيم وبدون

ان تتولَّد من كائنات مشابهة لها · وبالحقيقة لم يكن غير بوشه من زعماء التولد الذاتي جرى على خطة قانونية وبحث فيهِ بحثاً علمياً فمهد السبيل الى كشف الحقيقة · واهم امتحاناتهِ التي ابهر بها الاندية العلمية الامتحان الآتي وهو : ملأ اناءً بالماء الغالي وسدهُ سدًّا هرمسياً بكل دقة واحتراس ثم غمس الاناء في حوض زئبقي ولما برد الماء تماماً ازال سدة الاناء تحت الزئبق وادخل اليهِ نصف ليتر من غاز الاكسجين النقي وهو كما لا يخفى الجزء الحيوي والصحي في الهواء اللازم لحياة الكائنات المكروسكوبية كلزومهِ لحياة الحيوانات والنباتات الكبرى . فالواضح في هذا الحد من الامتحان ان ليس في الاناء سوى الماء النقي الطاهر وغاز الاكسجين ثم ادخل قبضة من الشوفان موضوعة في اناء مسدود سدًّا هرمسياً بعد ان امرَّهُ على فرن محمي مدة طويلة الى اعلى من ١٠٠ درجة وبعد ثمانية ايام ظهر في نقيع الشوفان مادة عفنية · فكان لهذا الامتحان صدًى في الاندية العلمية وفوز باهر لبوشه لان الطبقة العفنية التي تكونت ليست من الاكسجين لان بوشه حضرهُ تحضيراً كيماوياً على حرارة بدرجة الحمرة · والماء قد وضع بحالة الغليان فهو اذاً خالٍ من كل جرثومة حيويَّة · والشوفان قد احترقت فيهِ ايضاً كل جرثومة حيوة عقيب امرارهِ على درجة حرارة فوق المائة . ولكي يزيل كل ريبةٍ من هذا القبيل اعاد الامتحان وجعل حرارة الفرن ٢٠٠ و ٣٠٠ درجة حتى الى اية درجة كانت وكانت النتيجة واحدة · فحق لهُ ان يزعم انهُ افحم خصومهُ وافسد اعتقادهم بوجود جراثيم حية في الهواء تنتقل بهِ الى ابعاد كثرت او قلت لان الكائنات الحية في امتحانهِ المذكور تولَّدت بوجود هواء صناعي قام مقام الهواء الجوي

فاتى باستور على الاثر وافسد القول والعمل بامتحاناتهِ الباهرة وابان للندوة العلمية ان امتحان بوشه حسن ومعقول ولكن فاتهُ ان يطهرّ الزئبق لانهُ يحتوي على الجراثيم المطلوب بيانها · وهنا ينفسح المجال كثيراً لبيان الامتحانات الكثيرة التي اجراها الفريقان وكان الفوز فيها اخيراً لباستور . ولا ارى لزوماً لتعدادها لان نتيجتها صارت اليوم من المبادىء الاولية الراسخة في اذهان الاطباء والعلماء ولا يجهلها التلامذة وهم على بداءة من العلم بل اصبحت من المعارف الشائعة عند العامة فاجوز الى بحث آخر كان لهُ شأن عظيم في عالم الطب وفضل كثير على الانسانية وفيهِ تتمة البحث المتقدم ذكرهُ اعني بذلك تخفيف السموم المرضية والتلقيح

قال احد المعاصرين " ان من يستطيع ان يتحقق طبيعة التخمير والاختمار سيستطيع دون سواهُ ان يعلل تعليلاً صحيحاً عن الظواهر المرضية المختلفة كما في الحميات والعلل المتنوعة · وتلك الظواهر لا يمكن فهمها الفهم الواجب الاَّ بعد معرفة فلسفة الاختمار معرفة صحيحة وراهنة "

وكان باستور اذ ذاك منصرفًا الى درس الاختمار وصارت اكتشافاتهُ فيهِ النور المرشد لحل المعضلات ولتذليل العقبات الحائلة دون كشف الستار عن سر الكائنات المكروسكوبيَّة . ولا يخفى ان المذهب الالماني او مذهب ليبغ كان الى ذاك الوقت هو المعول عليهِ في التعليل عن ظواهر الحياة في الاختمار اي ان الاختمار يحصل من تعريض اية مادة عضوية وازوتية والبومينية وفيبرينية وجبنية الى الهواء وان الخمير الحي ليس الاَّ مادة كيماوية في حال الفساد . اما باستور فقد تحقق وجود رابطة في الاختمار بين الفعل الكيماوي والكائنات المكروسكوبيَّة ورأي ليبغ لا يقوم بتفسير هذه الرابطة فاصبح الخمير الحي شغلهُ الشاغل وهو المسأَلة الرئيسية والعلة الكبرى في الاختمار واصبحت معرفة اصل الكائنات المكروسكوبية فيهِ قضية لا مناص لهُ منها بل رسخ في ذهنهِ انهُ لا يقدر ان يخطو خطوة الى الامام قبل حل هذه المسأَلة

فهذه كانت توطئة البحث لباستور في موضوع التولد الذاتي الذي شغل افكار علماء ذاك الوقت وقد نهاهُ كثيرون من اصحابهِ عن الولوج في هذا البحث لما فيهِ من وعورة المسلك ولاعتقادهم باستحالة الوصول الى كشف الستار عن غامضهِ . على انهُ لم يكن ليقف عند عقبة علمية او ليحجم عن كشف حقيقة غامضة لا سيما وان مباحثهُ في الاختمار يتوقف فصل الخطاب فيها على كشف الستار عن الكائنات الحية المتناهية في الصغر وهي الى ذاك الحين لا اصل حيوي لها ولا جرثومة حياة سابقة . وكان قد انبلج لهُ صبح المسأَلة فاندفع الى الجدل فيها وكان اصحاب التولد الذاتي هم اصحاب المكانة في العلم ولا نصير لهُ اذ ذاك سوى جوهر عقلهِ الساطع وسلسلة افكارهِ المرتبطة الحلقات فلقي من المعارضة والمقاومة ما يضعف همم الابطال و يثبطها ولكنهُ بطل العلم الذي لا يُغلب وفارس المجال الذي لا يجارى

والتعاليم الطبية ولا سيما ما يختص منها بالامراض السارية كانت تضطر دائمًا الى احتمال صدمات الاراء المتنوعة في الاختمار ولما شرع باستور بامتحاناتهِ الاولية سنة ١٨٥٦ كان راي ليبغ شائعًا وسائدًا في كل مكان وكان رأيهم في السموم والمصادر المرضية كرأيهم في الاختمار اي انها حركات خاصة في المواد الآخذة بالانحلال تنقل العدوى بانتقالها الى الاجسام المستعدة لها . ولكن ابحاث باستور في افعال الكائنات المكروسكوبية بالاختمار صرفت هذه الاراء عن مجاريها فعاد اصحابها من ثمَّ الى التعليم الطبي القديم القائل بالحلميات التي تنتقل من جسم الى آخر بواسطة كائنات اخرى ذات حياة

وفي سنة ١٨٦٤ قرر الاستاذ تروب الالماني في احدى خطبهِ التعليمية ان الاختمار النشادوي في البول لا يحدث من فعل المخاط بهِ ولا من زيادتهِ عن الحد الطبيعي ولا من

طول مدة بقائهِ في المثانة بل يحصل من ملامستهِ للهواء بعد خروجهِ منها. وكان هذا رأي ليبغ واتباعهِ . وكان باستور اوضح في احد تقاريرهِ عن التولد الذاتي منذ سنة ١٨٦٢ ان في كل اختمار نشادري في البول يتولد فطر مكرسكوبي وهذا مخالف لرأي ليبغ وتروب. وقد ثبت رأي باستور لانهُ تحقق بعدئذٍ انهُ لا يمكن ان يكون بول نشادري في كل علل المثانة ان لم يكن هذا الفطر موجوداً وبهِ عُرف سبب مرض من اهم امراض المثانة. وعليهِ رأى باستور ان يؤيد هذه الحقيقة بطرق العلاج فيبين العلاقة بين الفعل الدوائي والعلم الصحيح فاخذ يدرس خواص الحامض البوريك فعرف خاصتهُ المضادة للفساد ومقاومتهُ لانتشار الخمير النشادري فاشار على الدكتور غويون وهو استاذ الامراض البولية في مدرسة باريس بان يعالج الاختمار النشادري الشديد الخطر بحقن المثانة بمحلول من الحامض البوريك وكانت النتيجة نجاحاً باهراً

فنرى هنا كيف اتخذت المسأله وجهاً جديداً واستطرقت الى الجراحة وهي القسم المهم من الطب الذي خطا بفضل هذه الاكتشافات الخطوة الكبرى وسبق قسم الطب الباطني لقبول الآراء الجديدة فنشط علماؤهُ من عقال التقليد واندفعوا الى العمل بنشاط لانشاط بعدهُ وبهمةٍ لا تبارى فاوصلوهُ الى أوجهِ وسبقوا زملاءهم الاطباء الى الاعتراف بفضل المجتهد فكوفئوا بنجاح اعمالهم وتوصلوا الى مباشرة اعمال لم تكن تخطر لهم على بال فاصبحت عملية فتح البطن عندهم من العمليات الناجحة وعملية الفتق من العمليات الناجحة التي لا يعتد بها كثيراً وجراحة الدماغ ميسورة وممكنة

فالبحث في الاختمار والتولد الذاتي كان مهدهُ في فرنسا والمانيا وانما الفوز بهِ كان لفرنسا بفضل باستور رجلها الممتاز وكانت المانيا قد بدأت تعترف لهُ بالسبق والفضل ولم تكن انكلترا قليلة النهضة وقتئذٍ اذ كان فيها وفي مدرستها الممتازة في ادنبرج استاذ فاضل وهو ليستر المشهور الذي اشتهر بطريقتهِ المعروفة باسمهِ وقد بدأ بها سنة ٦٤ فكان يملأ جو غرفة العمليات ببخار الحامض الفينيك ويلقي رذاذاً منهُ على مكان العملية وآلات الجراحة وايادي المساعدين وقد كتب الى باستور كتاباً يدل على لطفهِ ونزاهتهِ قال . لا ارتاب بانك تنظر بعين الاهمية الى ما كتبتهُ عن المادة الآلية التي درستها انت اولاً في درسك الاختمار اللبني واني اجهل اذا كنت اطلعت على المجلات الجراحية البريطانية فاذا كنت اطلعت عليها فلا بد من ان تكون عثرت من وقت الى آخر على الطريقة المضادة للفساد التي اتتبعها منذ تسع سنوات واجتهد ان اوصلها الى درجة الكمال فاسمح لي ان اغتنم هذه الفرصة واقدم لك

تشكراتي القلبية لانك اوضحت لي بابحاثك الباهرة حقيقة المعرفة بجراثيم التعفن وارشدتني الى المبدإ الوحيد الذي يوصل طريقة التطهير الى الغاية السديدة

فهذه الحركة في افكار العلماء زادت باستور همة وحققت آمالهُ البعيدة الراسخة في ذهنهِ فقال انهُ يستطيع ان يبعد بابحاثهِ الى ان يهيء الطريق لدرس اصل الامراض درساً عميقاً . وكان كلما تقدم باكتشاف الخمير الحي زاد املاً بمعرفة اسباب الامراض المعدية وبالحقيقة قد نفث باستور من فيهِ منذ سنة ٦٠ روح حيوة الطب الحاضرة

ومع ذلك فقد كان يتردد في ولوج هذه الطريق الوعرة لانهُ ليس طبيباً ولا بيطرياً ولكن نفسهُ الكبيرة لا تسمح لهُ ان يقف وقوف المتفرج على الاعمال التي كانت تقودهُ اليها دروسهُ في الاختمار والتولد الذاتي وآفات الخمر والبيرا وكانت دوافع عظيمة تدفعهُ الى التقدم وهي الآمال المتعلقة على طرق ابحاثهِ والثناء الوافر الذي كان يتوارد عليهِ من كل صوب فقد كتب اليهِ تندل الفيلسوف الانكليزي الشهير سنة ٧٦ يقول " لما اطلعت على اكتشافاتك في الكائنات النقيعية امتلأ ذهني من اعمالك التي ولدت فيَّ اعجاباً بك وبها منذ اول اطلاعي عليها وقد اتخذت على نفسي تتبع هذه الاكتشافات حتى يزول عندي كل ريب ارتابهُ بها القوم لان نتائجها صحيحة لا تعارض ولا تقاوم . ففي بدء تاريخ العلم كنا نتأمل املاً كبيراً بأنهُ يتسنى للطب ان يتخلص من وعورة التجارب في الامراض الوبائية وان يبني مبانيهُ على اسس علمية راهنة . فاذا اتى هذا اليوم العظيم فالانسانية على ما اعتقد ستكون مديونة لك بهذا الفضل الذي يتسنى لها على يدك دون سواك "

وهنا بدأ باستور يدرس السموم المرضية وقصد ان يكتشف سر مرض الشربون (البثرة الخبيثة) الذي كان يفتك بمواشي فرنسا واسبانيا وروسيا وهنكاريا والبرازيل وتألفت لجنة طبيَّة في مقاطعة اورولوار وامتحنت امتحانات عديدة تحققت بها ان شربون الخروف ينتقل بالتلقيح الى خروف مثلهِ ومنهُ الى الحصان والعجل والارنب وبالعكس وان من يصاب بالبثرة غالباً هم الرعاة والحلابون والفلاحون وتجار الجلود والدباغون وغزالو الصوف والجزارون والذين يعيشون من حاصلات المواشي . وانهُ يكفي للعدوى وقوع الفيروس (المادة المعدية اوالسامة) على اقل سحج في الجلد او لسع الهوام جلداً صحيحاً . وهذا صحيح كلهُ وانما لم يصلوا بعد الى العلم الصحيح والمعرفة الصحيحة باصل العدوى حتى اشاع داير ودافين انهما وجدا في دم الخروف اجساماً صغيرة خويطية اطول قليلاً من الكريات الدموية ولا حركة ذاتية لها

فهذا بدؤ المعرفة بالجسيمات الحلمية في مرض الشربون والغريب ان هذا الاكتشاف

المهم لم تتوجه اليهِ افكار العلماء ودافين ودافين لم يهتما بهِ الاهتمام الواجب وبقي منسيًّا ثلاث عشرة سنة وربما دام اكثر من ذلك لولا ان الراي بالحلميات في الامراض السارية ثار ثائرهُ في كل نشرة او في كل قول من نشرات او اقوال باستور. فمن سنة ١٨٥٧ — ٦٠ اظهر باستور ان الاختمار اللبني هو كالاختمار الكحولي يتولد من خمير حي وسنة ١٨٦١ اكتشف ان عامل الاختمار اللبني مكوَّن من خيوط صغيرة متحركة حجمها كحجم الخيوط التي اكتشفها داڤين ودايرفي دم الحيوان المصاب بالشربون وسنة ٦٢ ابان انهُ لا يكون بول نشادري بدون وجود كائن مكروسكوبي وسنة ٦٣ اثبت ان اجسام الحيوانات الصحيحة لا تقبل جراثيم العضويات المكروسكوبيَّة وان الدم اذا اخذ باحتراس من الاوردة او الشرايين والبول اذا اخذ من المثانة وعُرض على هواء طاهر لا يطرأُ عليهما فساد ولا يظهر فيهما كائنات خويطية من اي نوع كان متحركة كانت او غير متحركة . فهذه القضايا حركت ساكن داڤين ودفعتهُ الى زيادة البحث لتحقيق ماسبق فعرفهُ قبلاً

وانخرط في هذا البحث جلَّة من العلماء الذين عرفوا مكروب الشربون في دم الحيوان المصاب ولكنهم لم يعرفوا سر العدوى لانهم كانوا يلقحون حيوانًا سليمًا بدم حيوان مصاب فاثبت باستور ان العدوى انما هي في تلك الخويطات التي اكتشفها داڤين ودرس كوخ حياتها وشرح تنوعاتها فانجلى هنا السر واصبحت المعرفة بالمكروب حقيقة راهنة وحان الاوان لدرس طبائعهِ كدرس طبائع الحيوانات الكبرى فشرعوا بفصلهِ من الوسط الذي هو فيهِ وباستنباتهِ اي بتوليدهِ في وسط صناعي ولقحوا من مستنبتهِ الحيوانات السليمة وحصلت الغاية التي كان باستور يسعى وراءها والفائدة التي كان العالم يتوخاها من هذا الاكتشاف المهم

لا بلية على الانسان اعظم من بلية الامراض الوافدة كالقرمزية والحصبة والجدري والنزلة الوافدة والطاعون والهواء الاصفر التي يكفي بمجرد ذكرها ان تنهلع القلوب وتنكسر النفوس وبها يتبدَّد شمل الجماعة وينحل نظام العائلة ويشبهها الداء الزهري والسل والكلب ولبعضها اطوار غريبة فانها موسمية اي لا تنتكس ولا تصيب الانسان في الغالب الاَّ مرة واحدة في العمر فهذه الخاصة الغريبة تؤدي بالباحث الى ان يرمي بمطلبهِ الى غاية بعيدة وهي امكان اكتشاف حالة مرضية اذا ادخلت الى الدم السليم وقت من الاصابة بها لانهُ كما ان التلقيح بالجدري يقي منها فقياس التمثيل يقتضي ان يكون للامراض التي من هذا النوع مطعوم يقي منها ايضاً واذا نظرنا الى الفائدة التي حصلت من اكتشاف جنر جزمنا بصحة المبدإ قبل الوصول اليهِ . على ان جنَّر لما اكتشف ان التلقيح بالجدري البقري يقي من الاصابة بالجدري

الحقيقي اعتقد انهُ يجب ان نلتجئ الى المطعوم البقري في كل تلقيح ولكن ظهر بالاختبار ان التلقيح جائز ونافع من زند الى زند فهذا هو اذًا الڤيروس المخفف وهذا ما حدا بباستور الى تخفيف الفيروسات فبدأ بتخفيف ڤيروس كوليرا الدجاج ولكن ظهر لهُ ان السم يبقى قتالاً مهما تخفف اي لو خفف الڤيروس عشر مرات او مئة مرة او الف مرة فانهُ يبقى قتالاً ثم عرف بعد اعمال الروية ان الفيروس يخف فعلهُ ويصير صالحًا للتلقيح بعد مرور ٢٤ ساعة على استنباتهِ اي يجب ان يكون بين الاستنبات الاول والثاني ٢٤ ساعة وبين الثاني والثالث ٢٤ ساعة وهكذا الى ان يحصل من الاستنبات الاخير ڤيروس غير قتال. واكمل الامتحان بان حقن ٢٠ دجاجة بمستنبتٍ قريب العهد فماتت كلها ثم حقن غيرها بمستنبتٍ مرَّ عليهِ ثلاثة اشهر فلم يمت منها واحدة بل ظهرت عليها علامات مرضيَّة كالحمى والكرب وضعف القابلية شفيت منها بعد ثمانية ايام . وهذه الظاهرة الغريبة ظهر ايضاً اغرب منها وهي ان الدجاجات الملقحة لُقحت بعد شفائها باللقاح القوي فمرضت ثم شفيت ولم يمت منها واحدة اي انها أُصيبت بالمرض الوبائي بكل اعراضهِ من غير ان تموت وهذه هي المناعة بعينها

فالمهم في هذا الاكتشاف هو امكان استنبات المكروب وتوليدهِ في المعامل البكتريولوجية على درجات متنوعة من السمية وعلى ارادة المعلم البكتريولوجي بحيث يولد ويخلق ما يشاء من تنوعاتهِ . وهو بمشابهة فعلهِ لفعل لقاح الجدري وبنسبة فعلهِ وهو مخفف الى فعلهِ وهو قتال يحسب لقاحًا . الاَّ ان الفرق بين لقاح الجدري ولقاح الڤيروس المخفف هو ان الاول لم يقتضِ من العالم الانكليزي سوى حسن المراقبة واقتضى من العالم الفرنسوي اعمالاً جزيلة واتعابًا شاقة ودروسًا عميقة وطويلة . والتلقيح بالڤيروس المخفف يقي من التلقيح بڤيروس اقوى منهُ وهذا من اقوى منهُ ايضًا وهكذا الى ان تحصل المناعة ونقي من الاصابة بالمرض نفسهِ

وعلى هذه الخطة جرى العمل بتخفيف ڤيروس الشربون وكان قد ظهر فضل باستور فاعطتهُ الندوة العلمية ومعاونيهِ شامبرلان وروكس ستين خروفًا للامتحان وكانت النتيجة ثبوت الحقيقة نعم تلقيح المواشي في فرانسا ثم في اوربا فسلمت من غائلة الوباء الذي كاد يفنيها ويقضي على ثروة الكثيرين من اصحابها

لا بد لكل اكتشاف جديد من ان يحدث تغييرًا في الآراء العامة فيقبلهُ البعض بسهولةٍ ومسرة ويرفضهُ البعض عنادًا ومكابرةً لانهُ ينبذ آراءهم ويسفه اقوالهم ويضيع آمالهم بالنجاح في مسئلة كانوا يبحثون فيها فانجلت على يد غيرهم وعلى طريقة مخالفة لطريقتهم

وبنتيجة غير النتيجة التي كانوا ينتظرونها. فالصدمة الاولى التي وقفت في وجه هذا الاكتشاف نشأَت في المانيا. وفي سنة ٨١ تأَلفت جمعية طبية دولية في لوندرا بسط فيها باستور اكتشافهُ هذا ونسب اهتداءهُ اليهِ الى سابق فضل جنَّر واثنى عليهِ افضل ثناء ولكن الانكليز امة تحب الحقيقة فشكرت لباستور ثناءهُ على فيلوسفهم ولكنها اعترفت لهُ بالافضلية واطنبت بمديحهِ وعرفت بهِ رجل العلم والبحث الذي لا يبارى. فخرج من الجمعية باهر الفضل بعيد الصيت حاملاً اكاليل المجد لهُ ولدولتهِ. وكان كوخ حاضرًا في الجمعية فقال لطبيب فرنساوي ان هذا حسن جدًّا لو كان صحيحًا ولما عاد هو ومعاوناهُ غافكي ولوفلر الى برلين نشروا رسالة تقدح بهذا الاكتشاف وتحاول الاقناع بعدم امكان استعمالهِ في المواشي. اما باستور فاجاب اني لا ادحض اقوال علماء الالمان الاَّ في برلين وكانت تتوارد عليهِ الرسائل تباعًا من المانيا فارسل بعض تلامذتهِ اليها حيث اخذوا يلقحون المواشي بنجاح لا يقبل الاعتراض ولا يسمح بالاغضاء عن الاعتراف بفضل المكتشف. ولما رأَت الحكومة الالمانية ان هذا الاكتشاف الفرنساوي قد اثار في عالم العلم ثورة لم يسبق لها مثال أَلفت لجنة من علمائها للنظر فيهِ فالتأَمت وكان من جملة اعضائها ڤيرخو الشهير فاسفرت ابحاثها عن صحة مذهب باستور وفائدة اكتشافهِ وبقي باستور ينتظر فرصةً لافحام كوخ فتسنت لهُ سنة ٨٢ في الجمعية التي التأَمت في جنوى وبعد ان بهر العلماء باقوالهِ وامتحاناتهِ دعا كوخ للجدل في حضرة لجنة تحكم بينهما فصفقت الجمعية وطلب كوخ فرصة ثلاثة اشهر ولما انقضت نشر كوخ رسالة كان لها من الجدوى والفائدة ما لا مزيد عليهِ لانهُ وهو الخصم الالد والمقاوم الاكبر منذ سنة اصبح الآن في طليعة علماء هذا الفن ومن اكبر انصار باستور ومن افضل تابعي طريقتهِ وكفى برهانًا لذلك اكتشافهُ التوبركلين المعروف باسمهِ وهو ڤيروس السل المخفف الذي وان لم يأْخذ المحل المعين لهُ في الشفاء فهو يحسب من اعظم الاكتشافات البكتريولوجية

لم يبقَ اليوم من العلماء من يفكر في هذه المشاحنات التي قضت على باستور بالعمل اربعين سنة لانها ذهبت مع زمانها وسقطت الاعتراضات بسقوط اوقاتها وانتشرت مآثر باستور في كل صقع ومكان واستفاد منها الطب والصناعة والزراعة. وقد قال هكسلي الفيلسوف الانكليزي الواسع الشهرة ان اكتشافات باستور تكفي فرنسا تعويضًا عن غرامة الحرب التي اخذتها منها المانيا. فابحاثهُ في الامراض الوبائية فتحت للطب آمالاً واسعة للوقاية منها ومع ذلك فكل اعمالهِ العظيمة بل العجيبة كان يعدها بداءة عمل بسيط وكان يقول دائمًا سترون في المستقبل كم يكون لهذا العمل من جليل الاثر ويا حبذا لو يكون لي وقت لاكمل ما بدأْت بهِ. فتحققت

بوتهُ وتخلصت الانسانية بفضلهِ من شر الكلب ولم تغادر نفسهُ الشريفة هذه الحياة حتى فتحت لعلماء الابواب المغلقة وسهلت لهم سبل العمل فرأى كوخ واعوانهُ يكتشفون المكروبات يخففون الفيروسات وتلامذتهُ يكتشفون مصل الدفثيريا والحمرة والتيفويد والطاعون والتتنوس ورآهم يواصلون السير لايصال خطتهِ الى اوجها الاعلى حقق الله آمالنا بهم ونفع الانسانية بفضلهم واعمالهم

الدكتور امين ابو خاطر

اصلاح غلط ورد في صفحة ٣٥٠ من العدد الماضي سطر ٨ كلمة الباثولوجي وصوابها الباثوجني اي علم اصل الامراض

حقوق الامم

(٥) المهاجرة

وجدت المهاجرة مع الانسان فنمت بنموّهِ وتكيّفت بتكيّف احوالهِ

وهي نتيجة اسباب عديدة . فقد تدفع احوال البلاد الطبيعيَّة (من حيث كونها جبلية ناحلة او غيلية رديئة الهواء والتربة) بسكانها الى مهاجرتها وطلب ربوع أُخرى . وقد يدفع الظلم السياسي او الديني الناس الى تركِ بلادهم والالتجاء الى بلادٍ أُخرى — وقد يكون السبب تطلب الغنى والثروة في بلادٍ غير البلاد المهجورة

فالمهاجرة على كل الاحوال امر طبيعي لهُ مساس بالبلاد المهجورة وبالبلاد المهاجر اليها قد ينفع الأُولى ويضرُّ بالثانية او بضرُّ الأُولى ونفع الثانية . ولهذا وضعت الحكومات نظامات وقيوداً تسير عليها متبعة في ذلك مصلحة البلاد ماديًّا وادبيًّا

على ان من المبادىء المقرَّرة الآن في العالم المتمدن كلهِ ان المهاجرة حقٌّ من حقوق الفرد الانساني لا يصحُّ ان يحرم منهُ او يعارض فيهِ لانهُ نتيجة المبدإِ القائل بحرّية الانسان الشخصيَّة

ولم يكن الامر كذلك في كل الممالك وفي كل الازمنة فبروسيا لا تعترف الى يومنا هذا لسكانها بحق المهاجرة بل تمنعهم منهُ وتعاقب المهاجر بحرمانهِ من جنسيتهِ ورفع حمايتها عنهُ . والدولة العثمانية لا تنظر بعين الرضا الى المهاجرين من ابنائها ولكنها تتبع مبدأ حرّية المهاجرة رسميًّا

وان مسألة المسائل عند الحكومات القائلات بحق المهاجرة على الاطلاق هي وضع حدٍ لحقوق المهاجرين الذين يزاحمون عملة البلاد المهاجَر اليها برضاهم باجور بخسة مع المحافظة على مبدإ حرّية المهاجرة . وهذه المسألة اساس الاختلاف بين الولايات المتحدة الاميركانية وبين اليابان الآن واهمّ مسائل الترنسفال الاجتماعيَّة

⁂

يراد بالمهاجر بالمعنى الحقوقي الدولي الرجل الذي يترك وطنهُ على ان يستوطن البلد الذي هاجر اليهِ ولا يرجع الى وطنهِ الاصلي . فلا يعدُّ مهاجرًا من يذهب قصد التجارة والاثراء الى احدى البلدان ثم يقفل راجعاً الى بلادهِ . كما انهُ لا يشترط بمن يستوطن البلاد الجديدة ان يتجنس بجنسيتها

متى علم ذلك صحّ لنا ان نسأل : ترى هل من الواجب على البلاد المهاجر اليها ان تمنح المهاجرين كل الحقوق التي يتمتع بها رعاياها وان تفرض عليهم كل ما تفرضهُ على رعاياها وهل يجوز لبلادٍ ما ان ترفض قبول المهاجرين او هل يجوز لها ان تمنع رعاياها من المهاجرة

ان للحكومة حق المحافظة على كيانها وحق استعمال كل الطرق المؤدية الى سعادتها ورفاهيتها . فيجوز لها بناءً على ذلك ان تمنع المهاجرة الى بلادها لا منعاً باتًّا فانها ان فعلت ذلك عدَّ عملها عدائيًّا للدولة التي ينتمي اليها المهاجرون . ولكن لها ان تشترط على من يقصد المهاجرة بعض الشروط المالية او الادبيَّة او الصحيَّة فلا تسمح بالدخول الى مدنها لغير من تمَّت بهِ تلك الشروط

وللمهاجرين كل الحقوق المدنية التي يتمتع بها اهل البلاد الاصليين وعليهم ما على هؤُلاء من الواجبات الاَّ الحقوق السياسية كحقوق الانتخاب والتوظف وما شاكل فانها لا تعطى للمهاجر الاَّ اذا تجنس بجنسيَّة البلاد

وكما انهُ ليس للحكومة ان تمنع المهاجرين من ابناء الدول الاخرى دخول بلادها منعاً قطعيًّا كذلك لا يجوز لها ان تمنع رعاياها من المهاجرة الاَّ اذا سارت في سبل الظلم والاستبداد . ولكن لا بأس اذا ضيَّقت على ابنائها في المهاجرة اذا رأت بذلك ضررًا عليهم وعليها ويجب ان يكون هذا التضييق قانونيًّا مشروطًا معروفاً عند كل السكان حتى لو شاؤُوا اتبعوهُ والاَّ هاجروا طبقاً لنصوصهِ

ومهما قيل في مبدإ حرية المهاجرة فانهُ من الظاهر الآن للعالم اجمع ان الدول التي تبيحهُ وتتوسع في اعطاء المهاجرين كل الحقوق التي يتمتع بها سكانها هي اكثر الدول تمدناً

وارقاها علمًا وصناعة وتجارة كأنها تعلم مقدرتها وترى نفسها بمأمنٍ من مزاحمة المزاحمين او انها تنظر الى المهاجرين نظرها الى ابنائها الاصليين فيزدادون غيرة على مصالحها ويصبحون مع الزمن من اشدّ رعاياها نفعاً واكثرهم اخلاصاً . ويكون مثل الحكومة في هذا الامر مثل التاجر يأتي دائمًا بالجديد النافع في ما يجلب من متاعٍ وبضاعةٍ وهي سياسة حكيمة مبنيَّة على قاعدة بيولوجية معروفة وهي ان الشعوب المختلطة ارقى من سواها التي ظلت محافظة على دمها فلم يمتزج بدم آخر . فان الشعوب مثل جسم الانسان يطرأُ عليها ما يحتاج معهُ الى تبديل الهواء اوتنقية الدم ولا تتأَتى هذه الامور بغير المخالطة مع الشعوب الأُخرى وامتزاج الدم بواسطة الزواج

وعندي ان هذا الميل الى المهاجرة الذي نراهُ في معظم سكان المعمور من نتائج مبدإ بقاء الاصلح فمهما شددت امةٌ في المحافظة على كيانها باتباعها قاعدة العزلة والابتعاد عن بقية الامم فليست آمنة شرّ التقهقر والانقراض اذا قضى بذلك نظام سير التمدن . كما انها تصل الى مثل هذه النتيجة اذا خالطت غيرها وامتزجت بمدنية سواها وسار هذا النظام سيرهُ بتغلب الاقوى الاصلح على الضعيف غير الصالح

فاذا كانت النتيجة واحدة في الحالتين — حالة العزلة والانفراد وحالة الامتزاج والمخالطة — وهي ان المدنية المناسبة هي التي تسود فما احرى الامم ان يفكوا قيود التقليد والجهل ويزيلوا الاعتقاد بوجود اختلاف بين شعب وآخر فيسهّلوا سبل الارتقاء على كل الشعوب ويزيلوا الحدود الفاصلة بين الشعوب — الحدود المادية والحدود الادبيَّة — الحدود التي يضعونها في الخرائط ويجيشون الجيوش لوقايتها وحدود التعصب الديني والتعصب الجنسي التي يبثونها في عقول التلامذة في الكتب والمدارس

ومن راقب سير الحوادث في العالم يرى ان الميل الى ازالة حواجز الجنسيَّة وما شابهها من بين الشعوب اخذ في التقدم والنموّ بين الامم المتمدنة ولهُ من الزعماء امثال جوريس وهرفه الفرنساويين وبابل الالماني

وليس مشروع اللورد كرومر في الجنسيَّة المصريَّة الَّا مظهرًا من مظاهر هذه الفكرة السامية

سامي الجريديني
محامٍ

المحاضرة الشعرية

المحاضرة في اللغة مصدر من حاضر الجواب اي جاء بهِ حاضرًا · وهي فن حديث عرف في صدر الاسلام او ما يقرب من هذا العهد · على ان ما كان شائعًا في عصر الجاهلية والمخضرمين من تناشد الاشعار يعدُّ من قبيل المحاضرة ايضًا لانهم كانوا يرتجلون ويجيزون ويماتنون كما كان يفعل من بعدهم . ثم لما جاء المسلمون هبت ريحها فيما بينهم وراجت سوقها في عصرهم حتى بلغ من تنافسهم في الشعر انهم جعلوهُ ذريعة لتناول حاجاتهم والاعراب عن افكارهم على تباين منازعها فلم يكن للنثر عندهم الاَّ مقام ثانوي لا يلجأُ اليهِ الاَّ من كان عييًّا حصر اللسان في مذهب بعضهم · فهذا التمرُّس مضافًا الى ما نشأَ فيهم من سليقة الشعر بوَّأهم المنزلة العليا في البديهة والارتجال حتى صارت تضرب بهم الامثال وصرنا نحسب ما اتصل الينا من هذا القبيل محالاً في محال لما نرى بيننا وبينهم من تباين النسبة وبعد المجال · على ان في المتأَخرين من لا يتقاصر ذكاؤُهم وصفاء ذهنهم عن المتقدمين فهم يجارونهم اذا ارادوا ويجيدون في ما اجادوا · وانما السر في تقاصرهم انهم انصرفوا عن الشعر الى التوسع في المدنية والتبسط في اسباب الحضارة والتنافس في مرافق الحياة فضعفت فيهم ملكة الشعر وركدت ريح القريض واصبح الشاعر لا يجيش في صدرهِ الشعر الاَّ للتسلية او الفكاهة في اوقات الفراغ · اما المتقدمون فقد كان الشعر موضوع حديثهم وسمرهم والغاية التي يرمون اليها في حلهم وسفرهم . يرتزقون من اسبابهِ ويستنزلون ري الصلات من فواصلهِ ويرفعون قبابهم بضرب اوتادهِ . وكانوا يزاولونهُ في الدعاء الى الله واستغفارهِ وفي الفخر والانتساب والمديح والهجاء والهناء والرثاء وجميع الفنون الشعرية المنقولة عنهم. وعلى الجملة فقد كان الشعر تاريخًا لهم تقرأُ فيهِ عاداتهم واخلاقهم ومواقعهم وكل ما لهُ علاقة بهم · فهذا كلهُ مع ما علمت من زهد المتأَخرين افضى الى بعد النسبة بين الفريقين واستحالة التشابه بينهما في العصرين . بل ادَّى الى استغراب بعض المتأَخرين مما انتهى اليهم من اخبار المتقدمين في هذا الصدد حتى صاروا يحسبون ما ينسب الى شعراء الجاهلية والذين بعدهم من البديهة وسرعة الخاطر نوعًا من الخرافات في حين انهُ حقيقي لا ريب فيهِ ولا غبار عليهِ من الاشكال كما يتضح لمن استقصى اخبارهم وطالع اسفارهم · والحق ان لا موضع للغرابة من هذا القبيل لما هو معروف عن توحد اللغة في عصرهم بمعنى انها كانت معربة فصيحة اما اليوم فهي معربة وعامية فاذا اراد شاعر نظم بيت مثلاً اضطر الى اجهاد الذهن والتلقف من هنا وهناك حتى تأْتي الفاظهُ فصيحة وعباراتهُ

معربة غير عامية اما هم فلم يكونوا يضطرون الى شيءٍ من هذا بل كانوا ينظمون كما يتكلمون على نحو ما يفعل شعراءُ الزجل في ايامنا هذه فانهم يرتجلون من المعاني ما يكاد يفوق معاني المتقدمين ببلاغتهِ وجزالتهِ ولكنهُ غير معرب بل هو عامي مثل اللغة التي ننطق بها فحكم الشعراء في ذلك العهد كحكم الزاجلين او "قوالي المعنَّى" في هذا العهد والفرق بينهما في اللغة فقط . وسنورد لك في هذه المقالة من محاضراتهم ما يكفي للمقابلة بين شعراء العهدين ولكنني قبل الشروع في ذلك اعود بالقارىء الاديب الى حد المحاضرة الذي ذكرتهُ في صدر هذه المقالة فيتضح لهُ ان هذا الفن لا يختص بالشعر بل يجري في النثر ايضاً . على انني اخترت هنا الاقتصار على المحاضرة الشعرية لان الشعر اوقع في النفس واعلق بالذهن واضمن لشوق القاريء وميلهِ من النثر . ثم ان البديهة والارتجال والاجازة وما اليها من الفنون ادرجناها كلها تحت قولنا المحاضرات فلا يشكل على المطالع اذا اوردنا شيئاً من الاجازة او توارد الخواطر مثلاً لان المحاضرة اسم عام يطلق على كل جواب جيءَ بهِ حاضرًا سواءٌ كان لاقتراحٍ او غيرهُ .

اذا تقرر كل هذا نقول

سمع مانِ الموسوس قول بعضهم

حجبوها عن النسيم لاني   قلت ياريح بلّغيها السلاما

فقال   فتنفستُ ثم قلت لطيفي   ويك ان زرت طيفها الماما

حيّها بالسلام سرًّا والا   منعوها لشقوتي ان تناما

وحضر النابغة الذبياني عند رجل وكان عمهُ يحاضر بهِ الناس ويخاف ان يكون عيياً فوضع الرجل كأساً في يدهِ وقال

تطيب نفوسنا لولا قذاها   وتحتمل الجليس على أذاها

فقال النابغة   قذاها ان صاحبها بخيلٌ   يحاسب نفسهُ بكمِ اشتراها

واجتمع الفرزدق وجرير والاخطل في مجلس عبد الملك بن مروان فاحضر بين يديهِ كيساً فيهِ خمسمائة دينار وقال لهم ليقل كل منكم بيتاً في مدح نفسهِ فايكم غلب فلهُ الكيس فبدر الفرزدق فقال

انا القطران والشعراءُ جربَى   وفي القطران للجربى شفاءُ

فقال الاخطل

فان تكُ زقّ زاملة فاني(١)   انا الطاعون ليس لهُ دواءُ

---

(١) الزاملة الدابة التي يحمل عليها من الابل وغيرها

فقال جرير

انا الموت الذي آتي عليكم   فليس لهاربٍ مني نجاءُ

فقال خذ الكيس فلعمري ان الموت يأتي على كل شيءٍ

واستجاز المتوكل على الله صاحب بطليوس من بلاد الاندلس احد وزراء دولتهِ قسيماً من الشعر وهو

الشعر خطة خسفٍ ۰ فاجاب الوزير مسرعاً ۰ لكل طالب عرفِ
للشيخ عيبةُ عيبٍ   وللفتى ظرَف ظرفِ

وقصد ابن جاخ الشاعر فخر الدولة ابا عمرٍو فلما وصل اليهِ ودخل عليهِ قال لهُ فخر الدولة أَجز

اذا مررت بركب العيس حييها

فقال ابن جاخ في الحال   يا ناقتي فعسى احبابنا فيها
يا ناقُ عوجي على الاطلال علّ بها   منهم غريباً يراني كيف ابكيها
ام كيف ارفض طيب العيش بعدهمُ   ام كيف اسكبُ دمعاً في مغانيها
اني لاكتمُ اشواقي واسترها   جهدي ولكن دموع العين تبديها

وروي ان القاضي الفقيه ابا الحسن احد روؤساء المغرب الاوسط حضر بين يديهِ ابن سوّار الشاعر ورجل آخر يقال لهُ ابو موسى وهو خفيف الروح ثقيل الجسم فجعل يعبث(١) بالحاضرين بابيات من الشعر فقال القاضي ابو الحسن معابثاً لهُ

وشاعرٍ اثقل من جسمهِ

فتصدّى ابن سوّار مجيزًا في الحال بقولهِ   تأْتي معانيهِ على حكمهِ
يهجو ولا يُهجى فهل عندكم   ظلامة تعدى على ظلمهِ
لسانهُ في هجوهِ حية   منيَّة الحية في سمّهِ
اما ابو موسى ففي كفهِ   عصا ابنهِ والسحر في نظمهِ
يصيبُ سرّ المرء في رميهِ   كأَنما العالم في علمهِ

ودخل يحيي بن خالد بستان دارهِ ومعهُ جاريتهُ دنانير فرأَى بهجة الورد على شجرة فقال اجيزي يا دنانير

الورد احسن منظرًا   فتمتعوا باللحظ منهُ
فقالت مسرعة   فاذا انقضت ايامهُ   فالورد انت تنوب عنهُ

---

(١) يمزح ويهزل

ورأى ابو نواس عنان جارية الناطقي في بعض ايام الربيع فقال اجيزي يا عنان

كلّ يومٍ عن أُقحوانٍ جديدٍ   تضحك الارض من بكاء السماء

فقالت مسرعة

فهو كالوشي من ثياب عروسٍ   جلبتهُ التجار من صنعاء

ورآها يوماً وهي تبكي وكان قد ضربها مولاها فقال

بكت عنان فجرى دمعها   كلؤلؤ ينسلّ من خيطهِ

فقالت   فليت من يضربها ظالمًا   تجفّ يمناهُ على سوطهِ

ورأى العباس بن الاحنف الزلفاء جارية ابن طرخان فقال لها اجيزي

اهدى لهُ اصحابهُ أُترجّة(١)   فبكى واشفق من عيافة زاجرِ

فقالت ارتجالاً

خاف التلوّن في الوداد لانها   لونان باطنها خلاف الظاهرِ

ودخل رحمون الفارسي على ابي بشر الرياضي يعودهُ فقال لهُ كيف اصبحت يا ابا بشر . فقال

يكاد جسمي من نحول الضنى   تحملهُ انفاس عوّادي

فقال رحمون   لم يبقَ الاَّ الروح في مهجة   يروح او يغدو بها الغادي

وبات ابو بكر البكّي في بعض الفنادق وقد اوقد قنديلاً فدخل عليهِ رجل وعلى وجههِ قناع قد سترهُ فسأَلهُ عن صناعتهِ فقال انا شاعر . فقال لهُ كالمستهزئ اجز وضرب بعينهِ الى شيءٍ يصفهُ فلم يجد الاَّ القنديل فقال

وقنديلٍ كأَن الضوء فيهِ   محيًّا من احب اذا تجلَّى

فاجاب الرجل في الحال

اشار الى الدجى بلسان افعى   فشمَّر ذيلهُ هربًا وولَّى

وصنع زهير بن ابي سلمى بيتاً وقسيماً وهما

تراك الارض إمَّا متّ خفًّا   وتحيا ان حييت بها ثقيلا

نزلت بمستقرّ العز منها

فمرّ بهِ النابغة الذبياني فقال لهُ آجز يا ابا امامة فامسك عن الجواب فاقبل كعب ابنهُ وانهُ لغلام فقال لهُ ابوهُ أَجز يا بنيّ فانشد   وتمنع جانبيها ان يزولا

فضمّهُ زهير اليهِ وقال لهُ انت ابني حقًّا

---

(١) نوع من الليمون يعرف بالكباد

وولد للفضل بن يحيي بن خالد مولود فدخل عليهِ عمر بن عبد الملك ولم يكن لهُ علم بالخبر فلما مثل بين يديهِ ورأى الناس يهنئونهُ نثرًا ونظماً وقف وانشد ارتجالاً

ونفرح بالمولود من آل برمك   بناة الندى والسيف والرمح والنصلِ
وتنبسط الآمالـــ فيهِ لفضلهِ

ثم ارتج عليهِ فقال الفضل   ولا سيما ان كان من ولد الفضلِ

وروى احمد بن معاوية قال . قال لي رجل تصفحت كتباً فوجدت فيها بيتاً جهدت جهدي ان اجد من يجيزهُ فلم اجد فقال لي صديق عليك بعنان فجئتها فقلت اجيزي

فما زال يشكو الحب حتى رايتهُ   تنفس في احشائهِ وتكلما

فلم تلبث ان قالت

ويبكي فابكي رحمة لبكائهِ   اذا ما بكى دمعاً بكيت لهُ دما

ورأى ابو جعفر محمد بن ابرهيم المعدني بيتاً مكتوباً على جدارٍ وهو

لكل شيءٍ فقدتهُ عوضٌ   وما لفقد الشباب من عوضِ

فقال مرتجلاً

وليس في الدهر من شدائدهِ   اشدُّ من فاقةٍ على مرضِ

وقصد الشيخ ابو الخير الانباري الضرير تعجيز ابي القاسم العدَّاس بين يدي الشيخ العلامة ابي محمد بن برّي لشرّ كان بينهما فقال لهُ ان كنت شاعرًا كما تزعم فأجز

أُدرجت في اثناء نسيانكم   حتى كأني الفُ الوصلِ

فاجابهُ ابو القاسم بديهاً

وكنت عين الفعل في قربكم   فصرت لام الجرّ في الفعل

وجلس بعض الادباء في روض واخذوا يتذاكررن في ما وُصفت بهِ الدواليب(١) من بعض الاشعار فافضي بهم الحديث وهو ذو شجون الى ذكر الأُعيمى التُّطيلي وقولهِ في اسد من نحاس يقذف من فيهِ الماء وهو

اسدٌ ولو اني انا   قشهُ الحساب لقلت صخره
فكأنهُ اسد السما   ء يمج من فيهِ المجرّه

فقال بعضهم يتولد من هذا معنًى في الدولاب يأخذ بمجامع المسامع ويطرب الرائي والسامع فاخذ كل منهم ينظم ما جاش بهِ غمر بحرهِ وانبأَهُ بهِ شيطان فكرهِ . فلم يكن الاَّ

---

(١) السواقي بلغة مصر والنواعير بلغة الشام

كنقر العصفور الخائف من الناطور حتى كمل ما ارادوا من غير ان يقف احد منهم على ما نظمهُ الآخر فكان ما نظمهُ القاضي الاعز بن ابي الحسن علي بن المؤَيد

حبذا ساعة المجرة والدو   لاب يهدي الى النفوس مسرَّه
ادهمٌ لا يزال يعدو ولكن   ليس يعدو مكانهُ قدر ذرَّه
ذو عيون من القواديس (١) تبدي   كل عين من فائض الماء عبره
فلك دائر يرينا نجوماً   كل نجم منها يرينا المجرَّه

وكان ما نظمهُ ابن ظافر

ودولابٍ يئن انينَ ثكلى   ولا خطب شكاهُ ولا مضرَّه
ترى الازهار في ضحك اذا ما   بكى بدموع عين منهُ ثرَّه (٢)
حكى فلكاً تدور بهِ نجومٌ   تؤَثر في سرائرنا مسرَّه
يظلُّ النجم يغرب بعد نجم   ويطلع بعد ما تجري المجرَّه

وقال ابن المؤَيد اجتمعت مع جماعة من ادباء اهل الاسكندرية في بستان لبعض اهلها فحللنا روضاً تثنَّت قامات اشجارهِ . وتغنَّت قينات (٣) اطيارهِ . وبين ايدينا بركة ماء . كجوّ سماء او مرقعة مراء (٤) فنثر عليها بعض الحاضرين ياسميناً زان سماءها بزواهر منيرة . واهدى الى لجتها جواهر نثيرة . فتعاطينا القول في تشبيههِ . واطرق كل منا لتحريك خاطرهِ وتنبيههِ . ثم اظهرنا ما حررنا . ونشرنا ما حبَّرنا . فانشد العباس بن طريف الخرَّاط الاسكندري

نثروا الياسمين لما جنوهُ   عبثاً فاستقرَّ فوق الماء
فحسبنا زهر الكواكب تحكي   زَهرَ الارض في اديم السماء

قال وكان الذي صنعتهُ

نثروا الياسمين في لجة الما   ء فخلنا النجوم وسط السماء
فكأَن السماء في باطن الار   ض او الدرَّ طفٌ فوق الماء

قال وسمع ابو عبدالله بن الزين النحوي القصة ولم يكن حاضرًا معنا فقال

نثر الغلام الياسمين ببركة   مملوءَة من مائها المتدفقِ
فكأَنما نثر النجوم باسرها   في يوم صحوٍ في سماء ازرقِ

وكان لابن حبيب التنوخي صديق لا يزال يزورهُ اذا غاب عن منزلهِ فاذا حضر لم يأْتهِ

---

(١) واحدها قادوس وهو وعاء للماء   (٢) الغزيرة من العيون والسحاب   (٣) مغنيات
(٤) واحدها مرآة وهي معروفة

فاخبر بذلك ابن رشيق فقال لهُ هيَّا ننظم شيئًا بهذا المعنى فقال ابن رشيق

ما بالنا نجفى فلا نوصلُ   الاَّ خلافًا مثلما تفعلُ
تأتي اذا غبنا فان لم نغبْ   جعلتَ لا تأتي ولا تسأَلُ
كهاجر احبابهُ زائرٍ   اطلالهم من بعد ان يرحلوا

وقال ابن حبيب

يا تاركًا ان لم اغب زورتي   وزائري دأْبًا اذا غبتُ
وَدِدت أَنْ ودَّك لا ينثني   يزور فقدانيَ لو مُتُّ

وسبقهما الى نظم هذا المعنى ابن خفاجة الاندلسي بقولهِ

صحَّ الهوى منك ولكنني   اعجبُ من بينٍ لنا يقدرُ
كأَننا في فلك دائرٍ   فانت تخفى وانا اظهرُ

وقال علي بن ظافر : روي ان ابن قلاقس ونشوَ الملك اجتمعا في منار الجامع عند الغروب ومعهما نفر من الادباء . فلما رأَوا الشمس فوق النيل غاربة والى مستقرها جارية ذاهبة . والهلال في حمرة الشفق . كحاجب الشائب او زورق الورق(١) . اقترحوا عليهما وصف تلك الحال . فقال ابن قلاقس

انظر الى الشمس فوق النيل غاربةً   وانظر لما بعدها من حمرة الشفقِ
غابت وابقت شعاعًا منهُ يخلفها   كأَنها احترقت بالماءِ في الغرقِ
وللهلال فهل وافى لينقذها   بزورق صاغهُ المولى من الورقِ

وقال نشو الملك :

يا ربَّ سامية في الجوّ قمت بها   امد طرفي في ارضٍ من الافقِ
حيث العشية في التمثيل معركةٌ   اذا رآها جبانٌ مات للفرقِ
والشمس هاربة للغرب دراعةً   بالنيل مصفرَّةً من شدة الغسقِ
وللهلال انعطاف كالسنان بدا   من سورة الطعن ملقًى في دم الشفقِ

وصعد ابن قلاقس وعلي بن الذروي على منارة الاسكندرية فاقترح ابن قلاقس على علي ان يصف المنارة فقال بديهًا

وساميةِ الارجاء تهدي اخا السُّرى   ضياءً اذا ما حندسُ الليل اظلما
لبست بها بردًا من الانس ضافيًا   فكان بتذكار الاحبة مُعلَما

---

(١) المراد بهِ الفضة

وقد ظللتني من ذراها بقبةٍ   الاحظ فيها من صحابيَ انجما
تخيّلت ان البحر تحتي غمامة   وانيَ قد خيَّمت في كبد السما

فقال ابن قلاقس يصفها ويمدح عليًّا

ومنزلٍ جاوز الجوزاء مرتقبًا   كأَنما فيهِ للنسرينِ اوكارُ
راسي القرارة سامي الفرع في يدهِ   للنون والنور اخبارٌ وآثارُ
اطلقت فيهِ عنان الفكر فاطَّردت   خيلٌ لها في بديع الشعر مضمارُ
ولم يدع حسنًا فيها ابو حسنٍ   الاَّ تحكَّم فيهِ كيف يختارُ
حلَّى المنارة لما حل ذروتها   بجوهر الشعر بحرٌ منهُ زخَّارُ
ما زال يذكي بها نار الذكاء الى   ان اصبحت علمًا في رأْسهِ نارُ

وجرى نزاع في الشعر بين ابن الذروي وهبة الله بن الوزير وهما في حمام يقال لهُ ابو فروة فتراضيا ان يحكم بينهما احد الادباء فطلب اليهما ان ينظم كل منهما قطعة في وصف الحمام على البديهة ثم يقع التفضيل بينهما بقدر التفاوت بين القطعتين · فقال ابن الذروي

ان عيش الحمَّام عيش هنيءٌ   غير ان المقام فيهِ قليلُ
جنة تكرهُ الاقامة فيها   وجحيمٌ يطيب فيها الدخولُ
فكأَن الغريق فيها كليمٌ   وكأَن الحريق فيها خليلُ(١)

وقال ابن الوزير بعد بطء

لله يوم بحمَّام نعمتُ بهِ   والماءُ من حوضها ما بيننا جارِ(٢)
كأَنهُ فوق شفاف الرخام بها   ماءٌ يسيل على اثواب قصَّارِ(٣)

فانتقد عليهِ الحكم تشبيههُ الماء بالماء كما ترى في البيت الثاني . واستبرد ما اتى بهِ فقال ابن الذروي

وشاعرٍ اوقد الطبع الذكاءُ لهُ   اوكاد يحرقهُ من فرط اذكاء
اقام يُجهدُ احيانًا روّيتهُ   ففسرَّ الماءَ بعد الجهد بالماء

وخرج علي بن نظيف الى الاهرام ترويحًا للنفس ومعهُ من الشعراء ابن الساعاتي وابن التاج البغدادي والواسطي وابن الخيمي · فاتفق ان كبَتْ بهِ بغلتهُ ثم وثبت و رفعت يديها فاقترح عليهم ان يتعاطوا القول في ذلك فقال ابن الساعاتي

---

(١) المراد بالكليم موسى كليم الله و بالخليل ابرهيم خليل الله وفي البيت اشارة لطيفة لا تخفى
(٢) الحمام قد يؤنث ولذلك ارجع اليهِ ضمير الانثى   (٣) القصار مبيض الثياب

قيل مادت من تحت ذا السيد الأر   ضُ ولم تأْتنا لهُ بمثالِ
هو طود النهى ومن اعجب الأَشـ   ياء ارضٌ تميد تحت الجبالِ

وقال ابن التاج :

جلست بغلة الامين ترينا   صدق حسٍّ كأنهُ إلهامُ
اظهرت ميزةً على النوع اذ أَصـ   بحَ في الجنس ذا علىً لا ترامُ
نحنُ في خدمة قيام لديهِ   ثم بغلاتنا لديهِ قيامُ

وقال الواسطيّ :

لم تكبُ بغلتك الخضراءُ من خوَرٍ   يا من هو اليوم للاسلام مسعدهُ
لكنما الارض مادت تحتها طرباً   اذ شرّفت بك يا من طاب محتدهُ

وقال ابن الخيميّ :

اقسمت بغلةُ الرئيس المفدّى   حين حطّت لعجزها عنهُ ظهرا
انما رفعت يديها قنوتاً(١)   بعد ان قبّلت ثرى الارض عشرا

ولما انشد ابو تمام احمد بن المعتصم في حياة ابيهِ بحضرة يعقوب بن الصبّاح الكندي قصيدتهُ التي اولها

مافي وقوفك ساعة من باسِ   نقضي رسوم الاربُع الأَدراسِ(٢)

وانتهى الى قولهِ

اقدام عمرٍو في سماحة حاتمٍ   في حلم احنف في ذكاء اياسِ

قال لهُ الكندي ما زدت ان شبهت الامير بصعاليك العرب . ومن هؤلاء الذين ذكرت وما قدرهم ؟ فاطرق قليلاً ثم انشد

لا تعجبوا ضربي لهُ من دونهُ   مثلاً شروداً في الندى والباسِ
فالله قد ضرب الاقلّ لنورهِ   مثلاً من المشكاةِ والنبراسِ

فجنّ الحاضرون استحساناً مما اتى بهِ . واجزل احمد صلتهُ . ولما خرج قال الكندي ان هذا الفتى قصير العمر لانهُ ينحت من قلبهِ

وروي ان تميم بن جميل التغلبي عاث ببعض الاعمال فحملهُ مالك بن طوق الى المعتصم فلما قدّم بين يديهِ واحضر السيف والنطع لقتلهِ احب ان يعلم كيف منطقهُ فقال لهُ تكلم . فقال بعد ان حمد الله تعالى ودعا للمعتصم . ان الذنوب تخرس الالسنة وتعمي الافئدة

---

(١) طاعة (٢) الاربع الديار والادراس الممحوة

وقد عظمت الجريرة وساءَ الظن ولم يبقَ الاَّ العفو او الانتقام وارجو ان يكون اقربهما مني اليقهما بك ثم ارتجل

اری الموت بين النطع والسيف كامناً   يلاحظني من حيث لا اتلفتُ
واكثر ظني انك اليوم قاتلي   ومن ذا الذي مما قضي الله يفلتُ
واي امرئٍ يُولى بعذر وحجة   وسيف المنايا بين عينيهِ مصلتُ
يعزُّ على الأَوس بن تغلب موقف   يسلُّ عليَّ السيف فيهِ واسكتُ
وما جزعي اني اموت وانني   لأَعلم ان الموت امر موقتُ
ولكنَّ خلفي صبية قد تركتهم   واكبادهم من حسرة تتفتتُ
كأَني اراهم حين أُنعى اليهم   وقد خمشوا تلك الوجوه وصوَّتوا
فان عشت عاشوا سالمين بغبطة   اذود الردى عنهم وان متُّ موُّتوا

(ستأتي البقية)   رشيد عطيه

جرينلندا

معربة عن الانكليزية

هي مجموع جزرٍ عديدةٍ متقاربةٍ يصلها الثلج بعضها ببعض فيخال انها قارة واحدة مترامية الاطراف . ولم تعرف حتى الآن مساحتها بالتدقيق لان قسماً كبيرًا من حدودها الشمالية لا يزال مجهولاً لم تطأهُ قدم انسانٍ الى يومنا هذا ولكن اهل العلم يقولون ان القسم المعروف من مجموع تلك الجزر تعادل مساحتهُ اربعة اضعاف مساحة الجزر البريطانية الثلاث معاً

وسكان جرينلندا قبيلة الاسكيمو واول من عرف هؤُلاء الاقوام وبحث في اصلهم ووقف على شيء من عوائدهم واطوارهم الدنمركيون ثم المرسلون المسيحيون الذين جابوا تلك الاصقاع للتبشير منذ مئاتٍ من السنين ثم جماعة من العلماء الرحَّل وصيادي الاسماك الذين حاموا حول شطوط تلك البلاد النائية وتوغلوا في اواسطها

وقبيلة الاسكيمو هذه تقطن بقعةً ممتدة الجوانب تنتهي عند شواطئ الاوقيانوس على ان عددها لا يربو على الخمسين الفاً فسكان قارة جرينلندا والحالة هذه لا يزيدون على سكان

مدينة صغيرة من البلاد المعمورة . وهم قوم بحاتر فمتوسط قامة الرجل منهم دون متوسط قامات الاوربيين بكثيرٍ . وطول الرجل المعتدل القامّة منهم قلما يزيد على خمس اقدام واذا وجد بينهم من يبلغ طولهُ ست اقدام عد من الجبابرة . والذين يقطنون القسم الشمالي من تلك البلاد يأوون الى اكواخ يصطنعونها من الثلج والجليد . اما القاطنون في الجنوب فيسكنون منازل من الحجارة او من الخشب والعشب والتراب ويهجرونها في فصل الصيف ويأوون الى خيامٍ من الجلد . وقد تجتمع عدة عائلات منهم في مكان ليس بالرحب حيث يأكلون ويشربون ويهجعون والاسماك واللحوم منثورة حولهم والكلاب حائمة الى جانبهم . واكثر طعام الاسكيمو من لحوم الحيوانات وهم قليلو التدبير وكثيرًا ما يؤول بهم الامر من جراء ذلك الى الضيق الشديد والجوع وقد روى الكبتن بري الرحالة انهُ التقى بجماعة منهم لم يكن لديهم ما يسدون بهِ الرمق ورآهم ينهشون الجلود التي يكتسون بها لكي لا يهلكوا جوعًا

ونساؤهم يعتنين باولادهن ما زالوا دون الثالثة من عمرهم فيلبسنهم القبعات من الفرو ويحملنهم على ظهورهن ومتى جاوز الصغار هذا السن فلا بدَّ لهم من الاعتناء بانفسهم مقلدين الكبار من ذويهم . والفتيان يتمرّنون منذ نعومة اظفارهم على الرماية بالقوس والنشاب حتى يجيدوها ومتى بلغ الفتى العاشرة اعطاهُ والدهُ زورقًا خاصًا بالرجال يسمونهُ "الكيَك" ليتمرن على التجذيف والصيد حتى يحسنهما ومتى بلغ من العمر سبع عشرة سنة رافق والدهُ وعاونهُ على صيد الاسماك واول سمكةٍ يصطادها تكون داعيًا الى سرور العائلة وابتهاجها . اما الفتيات اللواتي لهنَّ من العمر اربع عشرة سنة فيطلب منهن الخياطة والطبخ وتهيئة الجلود وبعد سنتين او ثلاث يجب عليهن اتقان التجذيف في المراكب الخاصة بالنساء وبناء الاكواخ

وتجارة الجرينلنديين ضيقة النطاق محصورة في عددٍ قليل من الاصناف يشحنون بها مراكبهم ويسافرون مع عيالهم للمتاجرة . ولقد تطول رحلتهم احيانًا الى سنة فاكثر وحيثما ألقوا عصا الترحال يبتنون الاكواخ ليأووا اليها

والغش نادر عندهم والسرقة اندر ولكنهم يستحلون خدع الاوربيين ويعدون سلب اموالهم مهارة يفتخرون بها وهم مع ذلك يتاجرون معهم ويبادلونهم شحم الحوت والجلود بالادوات والسلع المصنوعة من الحديد او الفضة . اما الذهب فلا قيمة لهُ عندهم ولا يحسبونهُ اثمن من الفضة والنحاس ويفضلون عليهِ الحديد الذي ينفعهم ولا سيما الادوات التي تصنع منهُ للصيد والقنص

وعندهم اعياد كثيرة اكبرها عيد الشمس يقع في اقصر يوم من السنة وهو الحادي والعشرين من شهر دسمبر فيحتفلون بهِ لظهور الشمس بعد احتجابها ولحلول فصل الصيد والقنص ويعمُّ الابتهاج بهذا العيد جميع انحاء الجزيرة فيعمدون الى كل ما لديهم من انواع اللهو والمسرة

ولقد يندهش الانسان حينما يرى اتقان هذه الامة الصغيرة لبعض اعمالٍ يقدم افرادها عليها رغماً عن قلة الادوات والآلات اللازمة لها عندهم · من ذلك بيوتهم تراها قائمة على احسن نظام هندسي ومبنية على طريقة تدرأُ عنهم الحر وتقيهم زمهرير البرد واضرار العواصف

اما ما يدعونهُ "بالكيك" ومعناهُ قارب الرجل وهو اشبه بزورقٍ طولهُ من ثماني عشرة الى عشرين قدماً يتناقص عرضهُ تدريجاً من وسطهِ الى مقدمهِ ومؤخرهِ فهو اشبه شيءٍ بمكوك الحائك عريض الوسط ضيق الطرفين وهو مع ذلك لا يزيد عرض وسطهِ على قدمٍ ونصف او قدمين وعمقهُ لا يتجاوز القدم الواحدة · لا يسع سوى رجلٍ واحدٍ يجلس في وسطهِ · وكبر هذه الزوارق يختلف باختلاف كبر اجسام اصحابها فمن كان من هؤُلاء طويل القامة كان زورقهُ كبيرًا ومن كان قزماً كان زورقهُ صغيرًا · والكيك المتوسط الكبر لا يزن اكثر من ستين ليبرة اي ٢٧ كيلو غراماً ويمكن حملهُ على الرأْس بلا عناءٍ شديد · ويجلس الرجل في كيكه وامامهُ قَلْسه مطوّى ووراءهُ وعاءٌ صغير من الجلد يحفظهُ دائماً منتفخاً ويوثق الى القلس ويستعمل كجاروفةٍ يرمى بها عند اصابة الفريسة فتعيق سيرها · ويصنع المجذاف من خشب الصنوبر الاحمر ينزّل بالعظام على جوانبهِ ولا يقل طولهُ عن سبع اقدامٍ · والكيك مدرعٌ بجلدٍ يستبدل بغيرهِ كل سنة · وهذا النوع من القوارب سريع السير جدًّا ولذلك صارت الحكومة الدنمركية تستعملهُ لحفظ المواصلات بين المواقع البحرية · اما قارب المرأَة فيسمى "أُوميك" ويبلغ طولهُ عادةً عشرين قدماً وعرضهُ خمساً وعمقهُ ثلاثاً والاوميك المتوسط يسع عشرين نفساً ويصنع من الواحٍ تشدّ بعظام الحيتان ويكسى الكل بالجلد · ويتولى عادة قيادة هذا الزورق اربع من النسوة يتعاونّ على العمل ويتبع الاوميك دائماً زورق من زوارق الرجال حتى اذا مست الحاجة بادر الرجل الى المساعدة · وعندهم مركبة بلا عجل يجرها الايل ويستعين الاسكيمو بها على قطع المراحل الشاسعة مدة ثمانية اشهر من السنة ويُعد الرجل غنياً ومثريًا اذا كان يملك زورقًا ومركبةً زحافة

ويندر ان توجد في العالم كلهِ شواطئُ تكثر فيها الحيوانات البحرية مثل شواطئ الجهات الشمالية المجلدية التي يكسوها الجليد على مدار السنة فمن غرب جرلنلندا على طول شواطئ اميركا الشمالية آلاف من الحيوانات كالدببة والكلاب والثعالب وملايين من البط

وعددٌ لا يعد من الطيور المائية لا تنفك تغدو وتروح البعض في الجو والبعض على بقع شاسعةٍ من الثلج والكل في حركةٍ متواصلة مما يجعل المسافر يهتم بها لانها طعامهُ وبحركتها الدائمة تؤنس ذلك السكون الموحش الباسط رواقهُ على تلك الاصقاع المتنائية . وكلما تقدم في فيافي جرينلندا الشمالية كثر ما يراهُ من انواع الحيوانات وهي وان تكن دون حيوانات الاقاليم الحارة بجمال اللون غير انها تبدو بمظهرٍ في تلك المجاهل يروق الناظر اليها ولذلك لا يخلو السفر الى الاصقاع القطبيَّة من اللذة والفكاهة حتى لقد ظنَّ البعض انهُ يمكن جعلها متنزهات لاهل الغنى والترف اذا أُتقن البالون وصار ركوب الهواء مأموناً

ومعلوم ان الدواب في الاقاليم الحارة وبرها قصير ورفيق اما في الاصقاع القطبية فهو غليظ جدًّا كذلك الطيور المائية قد خصتّ بثوبٍ كثيفٍ من السبد والريش المطلي بمادةٍ دهنية تسهل عليها الغوص في المياه بدون ان تخشى ضررًا او خطرًا . ومعظم حيوانات تلك الاصقاع الباردة من الجوارح والضواري تجد طعامها في البحر فالارض هنالك قلَّ ان تنبت ما يقوم بمعيشة الحيوان واكثر الطعام الذي تقتات بهِ جوارح الطير نوع من الاحياء يملأُ تلك البحار . وهو كثير التموُّج كصغار الافاعي ولذلك يقال لهُ "مِدبوزه" . ويدخل الفصفور في تركيب تلك الاحياء ولذلك تراهُ يضيءُ في الليل وهو يكثر في بعض الاماكن حتى يغطي وجه الماء فمتى تموجت تلك الملايين من الاحياء البراقة خيّل للناظر اليها ليلاً انها امواج من نارٍ متلاطمة

وتختلف تلك الاحياء شكلاً وحجماً فبعضها صغير لا يرى بالعين المجردة وقد اتفق كثيرًا ان اناساً لما رأَوا سطح الماء يتلألأُ على هذا الوجه الغريب ذهلوا لعدم رؤيتهم شيئاً في الماء يوجب هذا اللمعان فانزلوا الدلاء وملأُوها من تلك المياه علّهم يجدون ما يزيح اللثام عن هذا الامر فلم يروا في الماء شيئاً بعيونهم . والبعض الآخر حجمهُ كبير ولهُ قوةٌ غريبة فهو كثيرًا ما يقبض على سمك اكبر حجماً منهُ ويفترسهُ ومع ذلك فلا تجد فيهِ من المادة شيئاً يذكر ومما يوجب العجب والدهشة انهُ اذا وُضع على الشاطئ وعرّض قليلاً للهواء والشمس يجف ولا يبقى منهُ سوى غشاء رقيق . والحيوانات التي من هذا النوع يفوق عدّها الحصر في البحور الشمالية واحياناً تكثر في الماء فيتغير بها لون البحر على بُعد مئات من الاميال . وجلّ اعتماد الحيتان وما على شكلها في الغذاء على هذه الحيوانات

ادمون زلزل

الماس الطبيعي والصناعي

(تابع ما قبلهُ)

نشرنا في الجزء الماضي جانبًا من خطبة السر وليم كروكس في عمل الماس وكيفيَّة تكوُّنهِ في الطبيعة ووعدنا باتمامها في هذا الجزء وانجازًا لذلك نقول :—

التفت الخطيب بعد ما تقدم الى مذهب آخر في تكوُّن الماس فقال :—

ارتأى البعض ان الماس هبة من السماء صُنع فيها ونزل الى الارض مع النيازك . واول من قال بذلك في ما اظن ميدنبور بانيًا قولهُ على ان الماس لا يوجد الاَّ حيث توجد حجارة نيزكية سقطت في العصور الخالية وغار بعضها في الارض وكان غورهُ كثيرًا او قليلاً حسب ليونة الارض وصلابتها . وقد فعل الهواء والشمس والمطر بهذهِ النيازك ففتتها وجرفت الامطار الجانب الاكبر منها وبقيت حجارة الماس التي كانت تحويها في مجاري الانهر ورمالها

ومفاد هذا المذهب ان انابيب كمبرلي المشار اليها آنفًا حدثت من خرق النيازك للارض بوقوعها عليها فالحجارة الكبيرة خرقت الارض وغارت فيها والحجارة الصغيرة تكسَّرت وتفتت وبقي ماسها على سطح الارض . وهذا المذهب غريب جدًّا ولكن ما نعرفهُ من امر الماس يجعل هبوطهُ من السماء قريب الاحتمال واكبر مؤيد لهُ ما وُجد في اريزونا باميركا فان هناك سهلاً قطرهُ نحو خمسة اميال وجد فيهِ نحو الفي قطعة من الحديد النيزكي يختلف ثقلها من نصف طن الى كسر من الاوقية . ولا شبهة في ان هذه القطع نيازك وقعت من الجو ولو لم يُعلم في اي زمن وقعت . وفي منتصف البقعة التي وجدت فيها فوهة كفوهة بركان مرتفعة الجوانب قطرها ثلاثة ارباع الميل وعمقها نحو ٦٠٠ قدم شكلها مثل شكل ارض وقع عليها جسم ثقيل وغار فيها . وقد بلغ ما جُمع من هذه الحجارة من هناك حتى الآن عشرة اطنان ولا توجد مجموعة جيولوجية خالية منها . وكان احد الجيولوجيين يقطع حجرًا من هذه الحجارة فوجد فيهِ اجسامًا اصلب من الحديد النيزكي فامتحنهُ كيماويًّا فاكتشف فيهِ ماسًا فاعلن ذلك ثم اثبت الاستاذ مواسان والاستاذ فريدل صحة هذا الاكتشاف . وتدلُّ المواد التي وجدت مع الماس ان تلك النيازك كانت في درجة من الحرارة مثل حرارة الاتون الكهربائي . ومن ثم جعل علماء الكيمياء يفتشون عن الماس في الحجارة النيزكية في كل مكان فوجدوهُ فيها وهوذا صور فوتوغرافية صوَّرْتُ بها حجرًا من الماس الحقيقي وجدتهُ في قطعة من الحجارة النيزكية التي أُتي بها من كانيون ديابلو في اريزونا

فلا شبهة اذًا في ان الماس يكون في الحجارة النيزكية· وهذه الحجارة يتأكسد حديدها بفعل الهواء ويلوّن الارض حولها بلونهِ الاحمر ولكن الهواء لا يفعل بالماس الذي فيها فيبقى في مكانهِ . وقد بقيت قطع كثيرة من الحديد النيزكي في اريزونا بسبب جفاف الهواء هناك وقصر الزمن الذي مضى من حين وقعت الى الآن· وما حدث هناك يمكن ان يكون قد حدث في الازمة الجيولوجية في اماكن كثيرة

ولكن وقوع الماس من الجو ليس بالاسلوب الطبيعي لوجود الماس في الارض بل الاسلوب الطبيعي ان يوجد الماس في الارض كما وجد في اجرام السماء لان الارض لا تختلف عنها في بنائها فالزبرجد يوجد في اكثر النيازك ومع ذلك لا يقول احد انهُ لا يوجد في صخور الارض ايضًا متكوّنًا فيها تكوُّنًا . وقد اثبت السبكتروسكوب ان تركيب الاجرام السمويَّة مثل تركيب الارض وان النيازك تشبه الحجارة الارضية في عناصرها كما تشبه اجرام السماء· ولا تقتصر المشابهة على العناصر بل تتناول ايضًا المواد المركَّبة منها اي ان تركيب المواد الارضية والسمويَّة واحد

وقد ثبت مما تقدَّم (في الجزء السابق) ان الحديد اذا أُحمي الى درجة عالية جدًّا وكان عليهِ ضغط شديد كما يحدث في جوف الارض اذاب الكربون ثم ان الكربون الذائب يتبلور كما يتبلور غيرهُ من المواد التي تصهر فيتكوَّن منهُ الماس · وقد ثبت ايضًا ان هذه الشروط تتوفَّر في الاجرام السمويَّة كما تتوفَّر في الارض لان نيازك كثيرة سقطت منها حاملة الينا حجارة ماس

وتدلُّ الدلائل كلها على ان ماس المناجم وماس المعامل الكيماويَّة صنعا على اسلوب واحد والماس الذي يوجد في انابيب المناجم لم يتكوَّن فيها بل تكوَّن في جوف الارض على عمق كثير وتحت ضغط شديد . وتكسُّر حجارة الماس الكبيرة حينما تستخرج دليل على انها تكوَّنت تحت ضغط شديد ولذلك تجد بلورات الماس الكاملة اقل من البلورات المتكسّرة · ولم توجد حتى الآن قطع تتألف منها بلورة كاملة الاَّ مرةً واحدة وقد وجدت هذه القطع على اعماق مختلفة وذلك يدلُّ على انها لم توجد حيث تكوَّنت لان الطبيعة لا تكون اجزاء من بلورات بل بلورات كاملة. ثم ان حدود هذه القطع لم تزل حادة دليلاً على انها غير بعيدة من مقرها الاصلي· والظاهر ان الماس تكوَّن في اماكن مختلفة في المنجم الواحد والاَّ ما وجد فرق كبير بين حجارتهِ المختلفة

ولا يصعب علينا ان نتصوَّر ان قطعًا كبيرة من الحديد فيها كثير من الكربون كانت في

جوف الارض تحت المناجم الحاليَّة حيث الحرارة والضغط شديدان جدًّا وكافيان لاحداث ما يحدث الآن في المعامل الكيماويَّة

وبعض بلورات الماس مخططة سطوحها بمثلثات متساوية الاضلاع مشتبك بعضها ببعض واذا نظر اليها بالميكرسكوب ظهرت خطوطها غائرة في سطح البلورة· وقد استنتج غوستاف روز من ذلك ان بلورات الماس هذه عرضت للاحتراق بعد تكوُّنها لانهُ وجد ان حجارة الماس التي حاول احراقها بالبوري تولَّد على سطحها مثل هذه الخطوط· وقد عرضتُ حجارة الماس للحرارة فحدث فيها مثل هذه الخطوط ولكنها لم تكن جميلة كالخطوط الطبيعيَّة اي ليست منتظمة ولا حادة مثل الخطوط الطبيعيَّة

وقد يكون الماس الصناعي كمثْريّ الشكل كأَنهُ كان سائلاً في جسم آخر سائل ثم برد وتبلور وهذا الشكل موجود ايضاً في الماس الطبيعي · وقد لا يكون الماس الطبيعي متبلورًا كما يحدث لو جمد جسم سائل في وسط جسم آخر سائل والاول لا يمتزج بالثاني

وذكر الخطيب خواص اخرى من خواص الماس الدالَّة على انهُ كان سائلاً فتبلور تحت ضغط شديد كانكسار البلورات الكبيرة من تلقاء نفسها حال خروجها من المنجم ولا سيما اذا مسكتها بيدك وكانت يدك سخنة· وانتقل الى الكلام على صلابة الماس فقال ان الماس صلب جدًّا ولكن صلابتهُ على درجات مختلفة وقد يكون بعض جوانب الحجر الواحد اصلب من البعض الآخر · والماس الذي وجد في نيوسوث وايلس باستراليا اصلب جدًّا من ماس جنوبي افريقية حتى تعذَّرت شسخنتهُ في اول الامر· ولما كان الحجر المعروف بقوه نور يشسخن وُجد جانب منهُ شديد الصلابة جدًّا وبقيت الآلة تنحتهُ ست ساعات متوالية ولم تنحت منهُ شيئًا وكانت سرعها ٢٤٠٠ دورة في الدقيقة فزيدت الى ٣٠٠٠ دورة فاثَّرت فيهِ

ثم اظهر صلابة الماس بعملية عملها امام الحضور وهي انهُ وضع حجرًا من الماس على سندانٍ من الفولاذ وانزل عليهِ مطرقة من الفولاذ وضغط الاثنين بالمضغط المائي فدخل حجر الماس في الفولاذ كما تدخل الحصاة في التفاحة من غير ان تنثلم حدودهُ. ثم قال ولا يفوق الماس في صلابتهِ الاَّ معدن التنتالوم وهوذا قطعة منهُ اعطانيها الخواجات سمنس اخوان · وقد أُريد ان يثقب ثقب في صفيحة من هذا المعدن فاستُخدم لذلك مثقاب من الماس يدور خمسة آلاف دورة في الدقيقة وبقي هذا المثقاب يدور كذلك ثلاثة ايام بلياليها فلم ينزل في الماس الأربع مليمتر· وتستعمل اسلاك التنتالوم الآن بدل اسلاك الكربون في القناديل الكهربائية لانها لا تصهر الاَّ عند الدرجة ٢٣٠٠ بميزان سنتغراد

الَّا ان صلابة الماس ليست اهم خواصهِ واهم منها تكسيرهُ لاشعة النور فانهُ يحرفها كثيرًا فلا تعود تنفدهُ اذا كانت سطوحهُ السفلى مائلة على ٢٤ درجة و ١٣ دقيقة او اكثر بل تنعكس عنها الى الاعلى فكل النور الذي يقع على حجر الماس المششخن ينعكس عنهُ الى جهات كثيرة حسب سطوحهِ وهذا سبب لمعانهِ وبريقهِ وتلوُّن النور المنعكس عنهُ

واذا عُرض الماس لنور الشمس مدة صار ينير في الظلام . وبعض حجارة الماس تظهر مبيضَّة في نور الشمس . واذا وضعت في مكان مفرَغ من الهواء ومرَّ بها مجرًى كهربائي شديد انارت بنور ضارب الى الزرقة اذا كانت من جنوبي افريقية واذا كانت من اماكن اخرى فالغالب ان نورها هذا يكون ازرق زاهيًا او برتقاليًّا او احمر او اخضر ضاربًا الى الصفرة . وعندي حجر اخضر اللون اذا وضع في انبوب مفرَغ من الهواء واتصل بهِ المجرى الكهربائي صدر منهُ نور ساطع كأنهُ مصباح منير حتى تستطيع ان تقرأَ على نورهِ في الظلام . ونورهُ ابيض ضارب الى الخضرة . وقد بقي هذا الحجر مدة طويلة والكهربائية تفعل بهِ فاظلم سطحهُ ثم احمي الى الدرجة ٥٠٠ فزالت الظلمة وعاد كما كان اولاً . وها حجر آخر اذا عُرض لقنديل كهربائي صغير مما يوضع في الجيب ثم فرك بقطعة من الجوخ ظهر على الجوخ خط فصفوري منير

احتراق الماس

اذا أُحمي الماس في الاكسجين الى درجة عالية من الحرارة من ٧٦٠ الى ٨٧٥ احترق وبقي منهُ قليل من الرماد شكلهُ كشكل الحجر قبلما احترق وهذا الرماد مؤلف من الحديد والكلس والمغنيسيا والسلكا والتيتانيوم . والرماد قليل جدًّا واكثرهُ حديد ولكن الرماد من الماس المدخن يبلغ احيانًا اربعة في المئة

فعل الراديوم بالماس

اذا مرَّت اشعة الراديوم المعروفة باشعة ب على حجر من الماس اضاء بنور ساطع . وقد وضع حجر من الماس في قطعة من بروميد الراديوم وترك فيها اكثر من اثني عشر شهرًا فاكتسب لونًا ازرق جميلاً زاد بهِ ثمنهُ . وارى الخطيب الحضور حجارة من الماس ازرقَّ لونها بتعريضها لاشعة الراديوم وقال ان الازرقاق غائر في الحجر لا يزول باحمائهِ في الحامض النيتريك وكلورات البوتاسيوم ولا باحمائهِ الى درجة الحمرة الَّا ان اشعة الراديوم قد تلوّن حجارة الماس بلون اسود وامتحن الخطيب ذلك امام الحضور فسوَّد حجرًا من تكون الغرافيت على سطحهِ وختم الخطبة باحماء حجر من الماس الثمين بالمجرى الكهربائي وتحويلهِ الى فحم اسود من نوع الغرافيت

اليابان والاستعراض البحري

اجتمع في مرفإٍ جمستون باميركا في الشهر الماضي ٦٧ سفينة حربية اربعون منها للولايات المتحدة الاميركية وسبع وعشرون لدول الارض ارسلتها الى هناك اكراماً للولايات المتحدة ولم ترسل هذه الدول من اكبر بوارجها بل من اكبر طراداتها المدرعة التي صنعتها قبل حرب اليابان والروس ماعدا اليابان فانها ارسلت طرّادًا جديدًا صنعتهُ بعد الحرب صُنع في بلادها بكل ما فيهِ كأَنها تقول بهِ لاهالي اوربا واميركا انظروا ما تستطيعهُ هذه المملكةُ الشرقية من غير ان تلجأَ الى مساعدتكم في شيءٍ فقد صارت مستقلة عنكم غير محتاجة اليكم حتى في بناء البوارج الحربية· وهذا الطراد او البارجة في شكل الطرّاد واسمهُ صوكوبا محمولهُ ١٤٠٠٠ طن وسرعتهُ ٢١ ميلاً بحريًّا في الساعة وفيهِ اربعة مدافع قطر فوهة كلٍّ منها ١٢ بوصة واثنا عشر مدفعاً قطر فوهة كلٍّ منها ٦ بوصات وابراجهُ مدرعة بدرع من الصلب سمكهُ ٩ بوصات ولهُ منطقة من الصلب سمكها ٧ بوصات فهو من حيث مدافعهُ مثل اقوى البوارج الانكليزية والاميركية

ويتلو الطراد الياباني طراد انكليزي اسمهُ جود هوب محمولهُ ١٤١٠٠ طن وسرعتهُ ٢٤ ميلاً بحريًّا ونصف ميل فهو اسرع من الطراد الياباني ولكنهُ دونهُ في قوتهِ الحربية لانهُ مسلح بمدفعين قطر فوهة كل منهما ٩ بوصات وعشران و١٦ مدفعاً قطر فوهة كل منها ٦ بوصات وهو مدرَّع بمنطقة سمكها ٦ بوصات

ويتلوهُ طرّاد فرنسوي اسمهُ فكتور هيغو محمولهُ ١٢٤١٦ طنًا وسرعتهُ ٢٢ ميلاً بحريًّا في الساعة وفيهِ اربعة مدافع قطر فوهة كل منها سبع بوصات وستة اعشار و ١٦ مدفعاً قطر فوهة كلٍّ منها ٦ بوصات واربعة اعشار وهو مدرَّع بمنطقة سمكها ست بوصات وثلاثة ارباع البوصة وابراجهُ مدرعة ايضاً بدرع سمكهما ٨ بوصات ومن مزاياهُ ان ابراجهُ عالية تعلو من ٢٦ قدماً الى ٣٤ قدماً عن سطح البحر فتشرف على ما حولها الى امد بعيد

وارسل الانكليز ثلاثة طرادات اخرى غير الطراد المشار اليهِ آنفًا وكلها مدرعة وكبيرة وسريعة السير ولكنها دون الطراد الياباني وان كانت اكبر واقوى مما ارسلتهُ سائر الدول لان محمول كلٍّ منها ١٠٩٥٠ طنًا وسرعتهُ من ٢٣ ميلاً وستة اعشار الميل الى ٢٢ ميلاً

والدول التي اشتركت في هذا الاستعراض البحري هي انكلترا وفرنسا والمانيا وايطاليا والنمسا واسوج والبرتغال واليابان وشيلي وارجنتين والبرازيل· اي كل الدول البحرية ماعدا روسيا واسبانيا . وجاءت اليابان في هذا الاستعراض بعد انكلترا وقبل سائر الدول الاوربيَّة لان

ليس عند دولة منها طراد يقابل بالطراد الياباني

اما الولايات المتحدة الاميركية فاستعرضت ثماني عشرة بارجة كبيرة اكثرها من الطبقة الاولى بين بوارج دول الارض في محمولها وكبر مدافعها فان بعضها مماً محمولهُ ١٦٠٠٠ طن او ١٥٠٠٠ طن ومدافعها ممَّا قطرهُ ١٢ بوصة او ١٣ بوصة . واستعرضت طرَّادين مدرعين محمول كلٍّ منهما ١٤٥٠٠ طن وفيهِ اربعة مدافع قطر فوهة كلٍّ منها ١٠ بوصات

وقد بانت الولايات المتحدة بهذا الاستعراض انها من اقوى الدول البحريَّة ونفت من الاوهام الحلم الذي يحلم بهِ كثيرون وهو ان الناس لا بد من ان يبطلوا الحروب في القريب العاجل وتكون الولايات المتحدة رائدهم الى ذلك . فانهم قد لا يلتقون في ميادين القتال ولكنهم يتبارون في الانفاق على الاستعداد للحرب كأنهم يتحاربون فعلاً . فالثماني عشرة بارجة التي عرضتها الولايات المتحدة انفقت على عملها اكثر من عشرين مليوناً من الجنيهات وهي تنفق على حفظها وتمرين رجالها بضعة ملايين اخرى وكل هذه الاموال مبتزَّة من دماء الفلاحين والصنَّاع . وقس على ذلك بوارج سائر الدول فان ثمن البارجة منها من مليون الى مليونين من الجنيهات وهي لا تحفظ ما لم ينفق عليها وعلى رجالها نحو ربع مليون جنيه كل سنة ولا تقيم اكثر من عشرين سنة ثم تحسب عتيقة غير صالحة للاستعمال . وقد قيل ان الاستعداد للحرب يمنع الحرب وهذا صحيح ولكن هذا " السلم المسلَّح " ثقيل الوطأة كالحرب ثم اذا نشبت الحرب والدول على هذا النمط من الاستعداد والمنتفعون منها من اصحاب الاموال والمعامل والضباط والقوَّاد متربّصون للانتفاع تربُّص الجياع ومتهالكون في سبيلهِ تهالك المجانين فمن يستطيع ان يقدِّر ما ينتج منها و يترتب عليها من الضرر والالم لنوع الانسان

وغاية ما يستفاد من هذا الاستعراض ان اليابان صارت دولة منيعة الجانب تستطيع ان تستغني عن اوربا في عمل البوارج وآلات الحرب . ولا يبعد ان تتعلَّم الصين منها وتقتدي بها وتحاول ممالك الهند ان تنسج على منوالها فتنهض ممالك اوربا لمناوأَتها ويعود العراك والصدام فينجلي عن فوز الشرق او فوز الغرب فان كان الفوز للشرق قبل ان يستعدَّ ابناؤُهُ او جمهورهم للحكم الدستوري بقي الاستبداد فيهِ او استولت الفوضى عليهِ وان كان الفوز للغرب توالت الحروب والخطوب الى امد بعيد . وكيفما التفتنا لا نرى من وراء هذا الاستعداد الكثير الاَّ التعب والنصب ولا نجد فيهِ بارقة امل بالكفّ عنهُ والعدول عن هذا الجنون الذي تملَّك العقول كأن الاحياء لم توجد الاَّ لتجاهد وتصارع ويفني بعضها بعضاً حتى لا يبقى منها الاَّ الاقوى والاصلح للبقاء

الفلسفة العملية

الخطبة الثانية

ذكرنا في الجزء الماضي خلاصة الخطبة الاولى التي تلاها الاستاذ وليم جمس الفيلسوف الاميركي وجعلها تمهيدًا لبحثهِ في الفلسفة العملية · ونحن ذاكرون الآن خلاصة الخطبة الثانية

قال الخطيب كنت منذ بضع سنوات اتنزَّه مع بعض الرفاق بين الجبال وانفصلت عنهم قليلاً لبعض شؤُوني ثم رجعت اليهم فوجدتهم يتحاورون محاورةً فلسفية وموضوع محاورتهم سنجاب كان واقفًا على ساق شجرة وعلى الجانب الآخر منها رجل يدور حول ساق الشجرة ليرى السنجاب والسنجاب يهرب منهُ الى الجهة المقابلة فلا يستطيع ان يراهُ مهما اسرع في الدوران حول الشجرة· وكان بعضهم يقول ان الرجل يدور حول السنجاب في دورانهِ حول الشجرة وبعضهم يقول انهُ لا يدور حول السنجاب ولو دار حول الشجرة· فلما رجعت اليهم عرضوا الخلاف عليَّ واقاموني حكماً بينهم فخطر ببالي قول اهل الجدل انهُ اذا وقع الخلاف وجب الالتجاء اولاً الى التخصيص فقلت لهم ان الحكم في هذا الخلاف يتوقف على المعنى المراد من الدوران حول السنجاب فاذا اردتم بذلك الدوران من الجهة الشمالية منهُ الى الجهة الشرقية فالجنوبية فالغربية فالشمالية فالانسان دار حولهُ لانهُ كان الى شمالهِ مثلاً فدار الى الشرق منهُ وظلَّ دائرًا حتى عاد الى شمالهِ. ولكن اذا اردتم بالدوران ان الرجل كان امام السنجاب ثم صار الى يمينهِ ثم وراءهُ الى يسارهِ ثم عاد الى امامهِ فواضح ان الرجل لم يفعل ذلك فلم يدر حول السنجاب بل بقي امامهُ ولو فصل ساق الشجرة بينهما· فاذا ادخلتم هذا التخصيص في المسأَلة فالفريقان مصيبان ومخطئان حسب المراد من كلمة دار· فاقتنع جمهورهم بصحة كلامي ولكن بقي منهم مَن يقول اني لجأْتُ الى المغالطة لكي لا احكم لهم

وقد ذكرت هذه الحادثة الطفيفة لانها تدلُّ على ما اريدهُ بالفلسفة العملية فان الفلاسفة يختلفون في مسائل كثيرة واختلافهم فيها من هذا القبيل · من ذلك اختلافهم في هل العالم واحد او متعدد وهل هو هيولي او روحي وهل الامور مقدَّرة او غير مقدرة· فالفلسفة العملية تستدعي ان يفسَّر المراد بكل قول من هذه الاقوال بتتبعهِ الى نتيجتهِ العملية فاذا لم يوجد فرق عملي بين هذا القول وذاك فالمراد بهما واحد ولو اختلفا لفظًا وبذلك ينتهي الجدال واذا كان القولان او الرأْيان مختلفين حقيقةً وجب ان يوجد فرق فعلي بين مدلوليهما وبهذا الفرق الفعلي يتبين الصحيح من الفاسد

واول من استعمل كلمة البرغمتزم (اي الفلسفة العملية) المستر تشارلس بيرس في مقالة نشرها في مجلة العلم العام الاميركية سنة ١٨٧٩ ولكن لم يلتفت اليها الفلاسفة الى ان اعدتُ ذكرها منذ تسع سنوات واوضحتُ فائدتها ومن ثمَّ كثر استعمالها في المجلات الفلسفية . وقد رأيت ان اوستفلد استاذ الكيمياء في مدرسة ليبسك جرى على هذه الفلسفة ولو لم يسمها بهذا الاسم وكتب اليَّ يقول " ان كل الحقائق تؤثر في اعمالنا وتأثيرها هذا هو المعنى الذي نفهمهُ لها . ولقد اعتدت ان اسأل تلاميذي قائلاً ان كان هذا الامر صحيحاً فما تأثيرهُ في العالم وان كان ذاك صحيحاً فما تأثيرهُ ايضاً فاذا كان تأثيرهما واحداً فهما صحيحان على حدٍ سوى او لا اختلاف بينهما والاَّ فهما مختلفان " (اي ان الامور بنتائجها)

ما اكثر المسائل الخلافية التي يزول الخلاف منها وينتهي جدال الفلاسفة فيها اذا امتحنت بهذا المقياس اي نُظر الى نتائجها العملية . فان كان فيها اختلاف حقيقي وجب ان يظهر في نتائجها والاَّ فلا اختلاف فيها . فيجب ان يكون غرض الفلسفة البحث عن النتائج التي تنتج لك ولي ولكل احدٍ في وقت معلوم من حياتنا اذا كان هذا المذهب صحيحاً او ذاك

والفلسفة العملية ليست امراً جديداً فقد كان سقراط من انصارها وجرى ارسطوطاليس عليها وعلى اسلوبها سار لوك وبركلي وهيوم لكن هؤلاء الفلاسفة استعملوها من غير انتظام وعلى غير قاعدة ولم يظهر انها عامة الاَّ في زماننا . وعندي انها ستعمُّ كل معارف الناس ويكون الفوز لها اخيراً

نعم ان القسم العملي من الفلسفة كان شائعاً دائماً ويراد الآن ايضاحهُ على اسلوب قانوني وبصورة مقبولة . والفيلسوف العملي يغضي عن كثير من المسلَّمات التي اعتاد الفلاسفة التصديق لها والاعتماد عليها — يغضي عن الاقوال الموضوعة التي تتخذ حججاً والقضايا المسلَّمة التي تحسب من البديهيات والقواعد التي تقيّد العقل بها والدعاوي التي مفادها خرق حجاب الغيب والوصول الى مالا تدركهُ العقول . يغضي عن هذه كلها ويلتفت الى الحقائق المقرَّرة الى الامور المادية . الى الاعمال . الى القوى . الى ما نراهُ ونشعر بهِ . فيترك الامور النظريَّة ويتمسك بالامور العملية . يترك العقائد والاقوال الموضوعة والدعوى بمعرفة حقيقة الاشياء ويتمسك بما توحيهِ اليهِ الطبيعة ويستنتجهُ من افعالها

وهذه الطريقة اي الطريقة العملية تغير مزاج الفلسفة فيقف امامها الفلاسفة النظريون مغلولي الايدي كما يقف رجال الملكية اذا صارت البلاد جمهورية تقترب بها الفلسفة من العلم ويتصافحان ويتفقان

لقد كان للسحر شان كبير في تاريخ الانسان وكان اعتمادهُ على الالفاظ والجمل التي يعزَّم بها على الجن والشياطين والعفاريت التي قالوا ان سليمان كان يجمعها ويأْمرها بما يشاء لانهُ كان يعرف اسماءها . وكذلك جرت الفلسفة معتمدة على الالفاظ والحدود كأَن اسرار العالم طلاسم لا تحل الاَّ بهذه الالفاظ او بما فيها من القوة التي تنير العقول مثل كلمة هيولى وقوة وعقل وما اشبه وتجد الانسان يستريح اذا وصل اليها فيقف عندها كأَنها خاتمة المطاف ولا شيءَ وراءها

ولكن الفلسفة العملية لا تقف عند حد الالفاظ بل تطلب ان تعلم مدلول كل لفظة منها اي قيمتها العملية وهي لا تحل مشاكل الفلسفة بل ترشد الى طريق البحث والاستقصاء والاستقراء. وعليهِ تصير الآراء النظرية آلات للبحث عن الغوامض ولا تبقى حلاً للغوامض كما كانت قبلاً فلا ننام معتمدين عليها بل نسير ونستعين بها في سيرنا . وليس في ذلك شيءٌ جديد في الجوهر بل هو مطابق لما مال اليهِ وجرى عليهِ كثيرون من الفلاسفة الاقدمون فهو موافق لما اعتقدهُ الفلاسفة النفعيون في نظرهِ الى الجهات العملية والفلاسفة اليقينيون في احتقارهِ الحل اللفظي والغث من المسائل وما لا يدرك منها

فالفلسفة العملية تقاوم الفلسفة النظرية في ادعائها كشف الغوامض وحل المشكلات ولكنها لا تدعي انها تؤَدي الى نتيجة محدودة ولو في مبدإها وما هي سوى طريقة للبحث او كما قال عنها الفيلسوف بابيني الايطالي انها كالدهليز في المنزل تفتح اليهِ كل ابواب غرفهِ فترى في غرفة منها رجلاً يؤَلف كتاباً في موضوع ادبي وفي الثانية رجلاً راكعاً على ركبتيهِ يطلب الايمان والقوة وفي الثالثة كيماوياً يمتحن خواص الاجسام وفي الرابعة اناساً يكشفون بعض الغوامض الفلسفية وفي الخامسة اناساً غيرهم يبينون استحالة المذاهب الفلسفية ولكنهم كلهم يمتلكون الدهليز الذي بين غرفهم ويستعملونهُ للوصول اليها والخروج منها

فالفلسفة العملية طريقة للبحث ترشد من يسير فيها الى الاعتماد على النتائج والوقائع والثمرات بدل الاعتماد على المبادىء والمقولات والمسلمات

وسنأتي على تتمة هذه الخطبة في الجزء التالي لان معانيها عويصة تقتضي تفصيلاً مسهباً لا يحتملهُ هذا الجزء فضلاً عن ان غرضها من اهم الاغراض التي يرمي اليها محبو نوع الانسان

خطبة شيشرون في المحاماة عن ليكاريوس (١)

تمهيد للمترجم

قلَّت اذن بشرٍ في الخافقين لم تسمع باسم شيشرون فخر الرومانيين وامام خطبائهم غير ان خطبهُ لم تنقل الى اللسان العربي فيما اعلم ولشدَّ ما كان يشوقني ما اسمعهُ واقرأُهُ من اطراء بلاغتهِ أن اقف على خطبهِ لكي أرى اين هو من هذا الصيت الذي جاب الارض وازداد رفعةً على تطاول الدهر لكن الاعمال التي كنت ازاول لم تكن تبقي لي من الوقت الَّا ما لا بدَّ منهُ لاستجمام القوَّة واستعادة النشاط وقد تيسَّر لي هذه السنة الاشتغال بتصنيف يطلب مثل هذه المطالعات وكان فيما قرأت خطبة لهُ في الدفاع عن ليكاريوس وردّ دعوى تيبرون عليهِ مترجمة بالفرنسويَّة ومطبوعة في باريز سنة ١٨٥٣ مع الاصل اللاتيني فنقلتها الى العربيَّة حبَّ ان يطَّلع عليها من الناطقين بالضاد من لا سبيل لهم الى الوقوف على ما لصاحبها من الخطب الَّا مترجمًا بالعربية وهذه الخطبة هي التي حملت قيصر ان يعفو عن ليكاريوس بما تضمنت من قوة الاحتجاج ولطف الاستعطاف وكلّلت بابهر الانتصارات الخطابيَّة ألا وان قيصر لتأثرهِ من بعض فقرها سقطت من يديهِ الالواح التي كان قد خطَّ فيها القضاء على ليكاريوس وتلك هي الفقر التي دافع بها عن ليكاريوس وعلَّق بعنق تيبرون تلك الجناية التي تجنَّى بها على ليكاريوس ومثَّلهُ للعيان يقاتل قيصر باشدّ العداوة في واقعة فرسال وبيَّن على رؤُوس الملا انهُ اكبر من ليكاريوس جرمًا

والذي وصل الى ايدي الناس من خطب شيشرون ٥٦ خطبة بعضها قضائيَّة دافع بها عن المتهمين وبعضها سياسيَّة وقد خدمها الكتاب والخطباء وفُرِض استظهارها على الطلبة ولم تزل في مقدَّمة الامثلة التي يحتذى عليها . ولقد انشأ عدَّة مصنفات في علم الخطابة لا يزال علَم شرفها منشورًا . وقصارى القول ان بقاء كتب شيشرون وخطبهِ في الرتبة الاولى في جميع الممالك الافرنجيَّة وقد نبغ فيها من الخطباء والادباء خلق كثير لا يذكرونها الَّا بالثناء بعد التنقيب وتدقيق النظر من كل وجهٍ من الوجوه التي يقضي بها للخطبة او عليها ينتظم دليلين على امرين الدليل الاوَّل على علو طبقتها والدليل الثاني على سعة علم المقرّظين وسلامة صدورهم من التعصُّب لهُ او عليهِ

---

(١) Ligarius رومانيٌّ اشتهر بمقاتلة قيصر وخلصهُ شيشرون ببلاغتهِ وقوَّة بيانهِ وتوفي ليكاريوس هذا في السنة ٤٦ قبل المسيح

ألا ليت شعري هل سمع عن عالم عالم تقريظ لا مسوّغ لهُ الاّ الحبّ اوجامعة من الجوامع ام هل نُقل عن عالم عالم انتقاد لم يحمل عليهِ الاّ حسدٌ تتقّد في الصدر نارهُ بل ليت شعري هل كان الحبّ هو الذي دفع ابولونيوس حتى يقول لشيشرون يوم خلب ألباب اليونان بطلاوة بيانهِ وحملهم على تصدية الاستحسان مرارًا ما هذا تعريبهُ بالحرف الواحد "انا أُطريك اطراءً لا شكّ فيهِ واعجب منك لكني اتلهّف اسفًا على حظ بلاد اليونان فلم يبقَ لها الاّ مجد الخطابة وقد اوشكت ان تسلبها اياهُ وتهبهُ للرومانيين" . فهذا كلام عارف صادق لم يعمِ بصيرتهُ الهوى ولم يدفعهُ الى الخروج عن الصواب . وكفى هذا الرجل فخرًا ان يقال فيهِ مثل هذا الكلام

وقد بقي عليّ ان اذكر ان هذا الخطيب ولد سنة ١٠٦ وتوفي قتيلاً سنة ٤٣ قبل المسيح وبذل على تنشئتهِ غاية ما في الوسع وهو فقد تعلم اليونانيَّة وبرع فيها حتى صار من الطراز الاول كما كان في لغتهِ اللاتينية ومن شيوخهِ اركياس نزيل رومة وسيفولا الذي علّمهُ الفقه وفيلون الذي علّمهُ التعاليم الافلاطونيَّة وسوسيان ديودت الذي علّمهُ المنطق وابولونيوس الشهير استاذ الخطابة في رودس الذي خرّجهُ في طريقة الاداء واساليب الالقاء وهو الذي نقلنا ترجمة تقريظهِ لهُ . وهو من محتدٍ مكرّم غير ان احدًا من عشيرتهِ لم يتقلّد منصبًا من مناصب الدولة ولذلك كان يقال "شيشرون رجلٌ جديدٌ" وكان اوّل طلبهِ الانتظام في عداد خدّام الدولة يُعيَّر بلقبهِ فقال آليتُ لأجعلنَّهُ اشرف لقب عند الرومانيين وقد لعمرك أبرّ قسمهُ

الخطبة

(١) قيصر ان تيبرون احد انسبائي قد رفع الى مقامك شكاية جديدة لم يُعرف لها نظير حتى اليوم . قد شكا ليكاريوس انهُ كان بافريقية . ولقد تجرَّأ على الاعتراف بهذا الامر لما كان واثقًا بمكانتهِ عندك ولذلك بلغ ارتباكي الغاية القصوى . واذ كنت على يقين انك لم تطَّلع على الأمر بنفسك وان لا احد يعرّفك بهِ رأيت من المفيد ان أُطلعك عليهِ انقاذًا لاثيمٍ . ولكن بما ان العدوّ قد تحيَّل فكشف سرّنا وصاحبي قد اخذ عليّ سبيل البقاء على ما كان في قصدي بادئ الامر فلا أُنكر شيئًا ولا ملاذ لي الاّ ما اختبرهُ كثير من ابناء الوطن من حلمك وكرم سجيَّتك ولا سيما ان حلمك أَنالهم من نسيان الزلة فوق ما أَنالهم من العفو والمغفرة ومن ثمّ فقد ظفرتَ ياتيبرون بما هو احبُّ شيءٍ الى المشتكي اي باقرار المشتكى عليهِ . لكن بماذا اقرّ اقرّ بانهُ شايعَ الحزب الذي شايعتهُ انت والذي ابوك الجليل كان

مثلك تعلُّقًا بهِ فلا بدَّ لكليكما قبل ان تعيبا ليكاريوس ان تعرفا انفسكما مجترمين نفس الجريمة التي اجترم

ان ليكاريوس أُقيم وكيلاً لكونسيديوس فشخص الى افريقية وليس ثمَّةَ من دليل على الحرب . وكان في منصبهِ هذا يستألف ويستميل الوطنيين والاحلاف وان كونسيديوس لو ألقى مقاليد الولاية الى آخر لكان قد برح ذلك الاقليم وهو مخيّب آمال اهلهِ عامة . واما ليكاريوس فقد امتنع طويلاً عن قبول القيادة حتى الجأَتهُ الحال بعد الاباء الشديد ان يقبلها . ولقد احسن الادارة كلٍ ايام السلم ونهج منهج النصفة والنزاهة حتى احبتهُ قلوب الرومانيين والاحلاف وانطلقت أَلسنتهم بالثناء عليهِ

فلما نشبت الحرب فجأَةً علم الذين في افريقية قبل ان يعلم غيرهم ما أُعِدَّ لها فلدن انتشر خبرها اخذ الغضب جماعةً واعمى الخوف جماعةً فطلبوا زعيمًا يستطيع ان يخلصهم ويؤيد حزبهم . فلم يتقيَّد معهم ليكاريوس بعهدٍ ولا حلفٍ فان انظارهُ كانت طامحةً الى رومة ولا بغية لهُ الاَّ الانضمام الى عترتهِ

وفي هذه الاثناء ورد مدينة اوتيكا⁽¹⁾ فاريوس الذي كان والي الاقليم قديمًا فتبادر الناس اليهِ من كل صوب وللحال قبض بفرط الرغبة على زمام السلطة ان صحَّ ان نسمي سلطة السلطة التي يأخذها رجل بمجرَّد هتاف دهماء⁽²⁾ عمياء لم تشترك معها الحكومة البتَّة . اما ليكاريوس فسُرَّ بأن لم يكن لهُ دخلٌ في شيءٍ من جميع هذه الحركات وقد شعر ببعض الراحة عند وفود فاريوس المشار اليهِ

(٢) فالى الآن ليكاريوس غير ملوم . لم يغادر رومة لاضرام نار الحرب بل لم يكن يخالج ضميرهُ ان ستصطلى حرب . ولما قُلّد الوكالة سافر ايام السلم ولما كان يدبر شؤُون خير الاقاليم واكثرها امنًا واطمئنانًا كان من مصلحتهِ ان يستمرَّ الاطمئنان فما كان سفرهُ موجبًا لسخطك البتة وان كنت تؤاخذهُ على اقامتهِ بافريقية فذهابهُ اليها لم يقع عن مقصدٍ سيءٍ واقامتهُ بها كانت بحكم الضرورة ولم يكن فيها الاَّ شريفًا . وبناءً على ذلك سواء سافر بصفة انهُ والٍ وسواءٌ قبِل ولاية افريقية بطلب الاقليم فلا سبيل الى ان يوجَّه اليهِ عتاب او لومٌ في هاتين المدَّتين

اما مكثهُ في مدينة أُوتيكا بعد وفود فاريوس اليها فان كان جنايةً فعن غير اختيارٍ بل عن اضطرار . ولو أَن الامر في يدهِ لأَفلت ولوازنَ بين مدينة اوتيكا ورومة ولقابل بين

---

(١) مدينة قديمة بافريقية . اشتهرت بانتحار كاتون الروماني فيها ولذلك دعي كاتون الاُوتيكي

(٢) الدهماء : العامة

انتيوس واخوتهِ الاعزَّاء عليهِ وبين الغرباء وبين اهلهِ وعترتهِ (١) ففرط محبَّتهِ لهم كان لهُ كل مدَّة ولايتهِ داعي الأسف والجزع فأنَّى يرتضي ان ينفصل عنهم ليسير تحت اعلام الاعداء

فاذن ياقيصر لم تجد في اعمال ليكاريوس حتى الساعة دليلاً على خبث نيتهِ

وانظر باي ثقة أُدافع عنهُ. اخون مصلحتي في خدمة مصلحتهِ فيا لها من شفقة عجيبة ويا لها من فضيلة جديرة بكل امادیحنا وحقيقة بان الاقلام تقيم لها الذكر الخالد. وحسبك ان شيشرون ينكر بين يديك ان المحامي عنهُ كانت لهُ هذه المقاصد التي يعترف انها كانت مقاصدهُ دون من عداهُ ولم يخشَ ما ربما يخطر لك فيهِ وهو يحامي عن ذلك الشخص

(٣) ألا انظر أي اطمئنان لي ألا انظر الى ما لكرمك وحكمتك من عظيم الوقع عندي وقد هممت ان اصيح باعلى صوتي حتى يسمع كلامي الشعب الروماني كلهُ

قيصر ان الحرب كانت قد ابتدأت وكانت كأنها قد انتهت يوم هممتُ مختاراً غير مكرهٍ ان انضم الى الثائرين عليك

اذن الى من اسوق كلامي اسوقهُ الى من احاط علماً بكل اعمالي ولم ينتظر ان يراني لكي يردني الى المشيخة. الى الذي كتب اليَّ من مصر أن حالتي في مأمن من أي تغيير. الى الذي انفرد في المملكة الرومانية بلقب امبراطور ولم يأنف ان اقاسمهُ هذا الشرف والجاه. الى الذي اخبرني على لسان بنصا الحاضر هذا النادي انهُ قد اباح لي ان احفظ الحُزم المكللة بأكلة الغار ما شئت. الى من لا يعدّ انهُ صنع معي جميلاً ان لم يحافظ لي على كل هـذه النعم اتمّ المحافظة

اتحسبني ياتيبرون اخشى ان اعترف للكاريوس بما اعترفت بهِ لنفسي. مع ذلك قد تكلمت عن نفسي محاذرةَ ان تيبرون يستقبح ان اذكر الشيء نفسهُ عنهُ. اني اهتم بامورهِ فكلانا مرتبط بحبال قرابة دمويةٍ ولقد طبت نفساً بما اوتيهُ من الذكاء والشغف بالآداب ولا جرم ان لي ان افتخر بمجد شاب من ذوي قرابتي

لكني اسأَلهُ من ذا الذي يؤاخذ لكاريوس على وجودهِ بافريقية ويعتدُّ ذلك جريمة عليهِ فهو يجيب أن المؤاخذهُ على ذلك رجل مالت نفسهُ الى ان يكون بافريقية فتشكى من ان ليكاريوس حال بينهُ وبين بغيتهِ فحقد ذلك عليهِ ورجل انتهى بهِ الامر الى ان حارب قيصر نفسهُ. ما ذا كنت يا تيبرون تفعل في ميادين فرسال (٢) والسيف بيدك تريق بهِ

---

(١) العترة : ولد الرجل وذريتهُ وعقبه من صلبهِ وقيل رهطهُ وعشيرتهُ الادنون ممن مضى وغبر

(٢) مدينة قديمة بناحية من بلاد اليونان يقال لها تسالية وفي فرسال هذه انتصر قيصر على بومبه بعد ملحمة هائلة

الدماء · ما الدم الذي كنت تريد ان تسفكهُ وفي شاكلة من كنت تريد ان تغمد حسامك وعلى مَن هاج هائجك وفار فائرك · فأيّ عدوٍ كنت تبغي الايقاع بهِ · ما ذا كنت تريد وماذا كنت تتمنى

(٤) وآخر الامر يا تيبرون ما كانت بغيتنا الاَّ ان نفعل ما يفعلهُ المنتصر اليوم ومن ثمَّ يا قيصر فالذين تجاوز بك الحلم عن جناياتهم واصبحوا بمعزل عن العقوبة هم يدعونك الى الشدة والقسوة . آه يا تيبرون هذا امر لا ارى فيهِ اثرًا لحكمتك ولا اثرًا لحكمة والدك على تميُّزهِ بقوة العقل وغزارة المعارف · لم يرَ عواقب شكوى مثل هذه والاَّ لرسم لك خطة غير هذه الخطة . قد افرغت جهدك ان تجرّم من هو مقرٌّ بجرمهِ بل انك قد اشتكيت على من هو اخفُّ منك جرمًا او ان كان لهُ ذنبٌ فهو الذنب الذي انت تعترف انك اقترفتهُ

فهذا ولا ريب صنيع ادهش منهُ · والامر الذي لا يكاد يصدق هو ان شكواك لا تقف عند نفي ليكاريوس بل تتخطى الى اهلاكهِ · وما من رومانيٍ قبلك تجرأ على ما تجرأتَ عليهِ فذلك خلق غريب عندنا اجنبيٌّ عنا · فلم يتعود ارواء الحقد بسفك الدم الاَّ اليونان والبرابرة · وماذا تطلب مع ذلك . اتطلب ان لا يكون لكاريوس في رومه وان لا يعيش مع عترتهِ ومع اخوتهِ ومع بروكيوس عمهِ ومع ابن عمهِ هذا ومعنا · أتطلب ان لا يكون في وطنهِ . لكن هل هو في وطنهِ · وهل في الامكان ان يحرَم عترتهُ واحباءهُ اكثر مما هو محرومهم . ابواب ايطاليا مسدودة في وجههِ هو منفيٌّ مغرَّب . ليس هو في وطنهِ الذي تبغي ان تحرمهُ اياهُ . ما من احد التمس مثل هذا الملتمس حتى من الوالي الذي كان يقتل كل من يكره ويأمر بالملاحم من عند نفسهِ بلا التماس من احد ولست مغاليًا في ذلك بل كان يشجع الناس و يعدهم العطايا السنية ومع ذلك فان قيصر الذي تحاول ان تحملهُ اليوم على القساوة قد عاقب عمالهُ القساة

(٥) ولكن أتقول يا تيبرون انك لا تطلب قتل ليكاريوس · انا اعتقد ذلك فلقد عرفتك وعرفت أباك وعترتك وقد عرفت ان حبَّ الفضيلة والانسانيَّة والعلوم والفنون كانت في كل الازمان صفةً متوارثةً في بيتكم فانا على يقين اذن انك لا تطلب الدم لكنما سلكت طريقة الحمق . ألا وقد بينت لنا انَّ ما كابد ليكاريوس من العناء لا يشفي غليلك فهل بعد ذلك غير الموت · هو مغرَّبٌ منفيٌّ فما لك عليهِ بعد هذا أأَن لا يُعفى عنهُ · فيالهُ من ملتمس هو لعمر الحق اشدّ قسوةً وافظع بربريَّةً · وانَّا نسأل في قصر قيصر نعمةً واحدةً نلتمسها بدعواتنا وعبَراتنا خارّين على قدميهِ وتعويلنا على حلمهِ اشدّ من تعويلنا على صحة دعوانا . واما أنت

فتفرغ ما في وسعك حتى تُرفض طلبتنا ولا يجاب سؤْلنا فانت تخمد زفراتنا ومتى قبّلنا ركبتيهِ تمنعنا ان نرفع صوت الاستعطاف والاسترحام · فلو فاجأتنا ساعة استعطفنا قيصر وتضرَّعنا لهُ في صرحهِ ولم يذهب تضرُّعنا باطلاً وهتفت وقتئذٍ أنْ يا قيصر لا تشفع اخوةً يشفعون في اخٍ لهم لكان ذلك صنيعاً بربريًّا وأقبح من هذا وأفظع ان تحضر المحكمة لتحاول ان تمنع قيصر ان يجود بالعفو مع الحاحنا في التماسهِ وان تغلق باب حلمهِ في وجوه كثير من الاشقياء

يا قيصر اصرّح بين يديك بما يخطر لي فاقول لو لم يكن سعدك العالي مصحوباً بما جبلتَ عليهِ من رقة الطباع · نعم بما جبِلتَ عليهِ من رقة الطباع (انا افهم ما اقول) لغشى سواد الحداد بياض انتصارك فان كان في المغلوبين جماعة يريدونك قاسياً فكم من امثال لهم في الغالبين وكم في الغالبين ايضاً من اهل الحفائظ الذين لا تنحلُّ عقدة غضبهم يحولون بين الناس وبين حلمك وعفوك فانَّ هؤُلاء الذين اصابوا نعمة عندك لا يريدونك الاَّ قاسياً على غيرهم

اذا نحن أقنعنا قيصر ان ليكاريوس لم يأتِ الى افريقية · واذا توسّلنا الى انفاذ وطني مرزوءٍ بكذبٍ يسوغهُ الشرف وتقضي بهِ الانسانيَّة يكون قبيحاً والحالة هذه ان نفنّد ذلك الكذب وندحضهُ وان حقَّ ذلك لأحد فلا يحقُّ لمن بتأييدهِ تلك الدعوى اقتحم هذا الخطر نفسهُ . على ان القصد الى ان يكون قيصر مخدوعاً او القصد الى انهُ لا يعفو امران مختلفان كل الاختلاف · ولو كان ذلك لكنت قلت يا فيصر ان الناس يخدعونك . فان ليكاريوس كان في افريقية وثار بالسلاح وخرج عليك ماذا تقول اليوم . تقول احذر أن تعفو · أهذه لغة انسان في حقّ انسان . يا قيصر ايُّ من خاطبك بمثل هذا الكلام فقد جرَّد قلبهُ من الحنان وأخمد نفس المروءة ولكن يدهُ أضعف من ان تستأصل الحنوّ من قلبك

(٦) ان تيبرون في عرضهِ الاوّل أراد ان يتكلم في جريمة ليكاريوس ان لم اكن واهماً · وما دعواهُ على ليكاريوس الاَّ من الامور المدهشة فما من احدٍ اشتكى شكوى لها مثل هذا الوجه . ولا سمع ان الشاكي كان مجرماً الجريمة التي شكا بها غيرهُ · أهذا يا تيبرون تسميهِ جرماً ولمَ سميتهُ · انّ هذه الدعوى حتى الساعة لم تنجلِ · فبعض يسميها خطاءً وبعض يسميها خوفاً وبعضٍ قلة عفوٍ وبعض يدعوها طمعاً وشراهةً وبغضاً وعناداً

وقال الذين أقسى منهم ان هذه الدعوي جنون · وانت وحدك تدعوها جرماً فان طلبنا كلمةً محكمةً او اسماً وضعيًّا موافقاً لبلايانا فأقول ان سطوةً مشؤُومةً منتشرة في المشيخة جرّت الاضطراب والهذيان على الأرواح كافّةً وانهُ لا عجبَ ان كانت الآراء البشريَّة تخلَّى

لإرادة الآلهة الضابطة الكل وفي امكاننا ان لا نكون اشقياء وحاكمنا ذلك المظفَّر العظيم · لكن لا أَعنينا · انما أَعني الذين هلكوا · نعم قد يكون انهم كانوا طماعين اهل حدَّةٍ وعناد ولكن لا بدَّ على الاقل ان لا نُهين روح بومبه (١) ولا ارواح غيرهِ بنبزهم (٢) بالحمق والغضب وقتلة الآباء · أُجلك يا قيصر عن النطق بهذه الالفاظ الفاضحة أَلا وانك لم تقصد بالحرب الاَّ كشف العار · وجيشك المظفر لم يحارب الاَّ اثباتًا لحقوقهِ وحفظًا لمقامك . ولما عقدت الصلح لم تعقدهُ مع المنافقين بل مع فضلاء بلادك

يا قيصر اما انا فلا يكون قيمة في عيني لما اوليتنيهِ من النعم لو ظننتك عفوت عني عفوك عن مجرم واما انت فلو ابقيت جمًّا غفيرًا من الخائنين في مقاماتهم وكراماتهم ما كنت قد خدمت الوطن وقد توهمت بادىء بدء ان الفتنة في البلاد كانت اختلافات آراء لا وقائع دموية بين متضادين · نعم كلا الحزبين كان يريد مصلحة المملكة لكنما التحزُّب والمصلحة الشخصية قد أَديا الى اغفال هذا المقصد · وأما فضل رؤَساء الفريقين فقد كان سواءً ولو لم يكن فضل اشياعهم متساويًا · فاشتبه الامر على الناس فلم يقدروا ان يميزوا بين الصالح والفاسد · واما اليوم فقد جاءَت الآلهة بفصل الخطاب واذ كان حلمك قد ظهر ظهورًا باهرًا فلا يسعنا الا السرور بظفر ان كان قد هلك فيهِ احد فبحد السيف في حومة الوغى

(٧) لنخلِ الدعوى العمومية اي مصلحة الامة ولنقبل على دعوانا الخصوصية · اتقول يا تيبرون ان خروج ليكاريوس من افريقية كان اسهل عليهِ من عدم اتيانك اليها · انهُ كان عليهِ ان ينفذ اوامر مجلس الشيوخ ولا تنسَ ان مجلس الشيوخ نفسهُ كان قد انتدب لكاريوس لهذه الخطة فأَطاع ايام كانت الطاعة فرضًا لازمًا وحين اطعت انت لم تكن الطاعة واجبة على احد . فهل اعدُّك في ذلك ملومًا · كلاَّ ان محتدك واسمك وبيتك ومبادئك لم تكن لتسمح لك ان تأْتي امرًا غير هذا فلا يسعني ان اوافقك على الافتخار بصنيع انت تلوم الناس عليهِ

قد جرى الاقتراع علي ولاية الاقاليم بامر مجلس الشيوخ فخرجت افريقية في نصيب تيبرون وكان غائبًا عليلاً فعزم ان لا يقبل الولاية وقد تمكنت بما لي من العلاقات معهُ ان اقف على تفاصيل هذه المسئلة كافة — قد ربينا معًا وكنا رفيقين في الجندية ثم مرتبطين بالمصاهرة وحبيبين منذ قديم وزد علي ذلك ان اتفاق الآراء قد احكم ايضًا كل هذه الرُّبط

---

(١) بومبه اشتهر في افريقية وغلب في فرسال بعد وقعة هائلة وقتل في مصر بامر بطليموس العاشر وكان ذلك سنة ٤٨ وميلادهُ سنة ١٠٦ قبل المسيح

(٢) يقال نبزه بكذا : اذا لقبهُ بهِ وهو شائع في الالقاب المستهجنة القبيحة

بيننا ووثق هذه الاواصر(١) فاعلم اذن ان اول فكر افتكرهُ تيبرون ان لا يغادر رومة لكن الحُّوا عليهِ واستجاروا باسم المشيخة المقدس بحيث لو كان رأيهُ مخالفاً لآرائهم لما استطاع ردَّ تلك الالحاحات الشديدة ولا التخلص منها . فاذعن بل بالاحرى اطاع سلطة رجل نبيل عالي المقام فشخص في اولئك الذين كانوا متحزبين لهذه الدعوى نفسها ولما كان قد ابطأ في سيرهِ شيئاً وصل افريقية فاذا هي في يد غيرهِ فكان ذلك مدعاة لشكوى تيبرون من ليكاربوس وحقدهِ عليهِ

لكن ان كل ابتغاء الولاية على هذه البلاد جريمةً فانت الذي اردت ان تكون افريقية تحت امرك وهي اعظم اقاليمنا التي اعدتها الطبيعة لأن تحارب الرومانيين فلم تكن انت اخف جريمة من رجل لم يكن اشدَّ منك ميلاً الى البقاء بها ومع كل ذلك فما الذي تشكوهُ بهِ . أتشكو عدم قبولنا في افريقية . وهب انك قبلت فيها أكنت سلمتها الى قيصر ام كنت منعتهُ منها بالسلاح

(٨) لاحظ يا قيصر كم يلقي في قلبي حلمك وكرم اخلاقك من الشجاعة بل من الجسارة . فان زعم تيبرون ان اباهُ كان قد سلمك الاقليم الذي مجلس الشيوخ والقرعة كانا قد القيا مقاليدهُ اليهِ لما ترددت حتى في حضرتك ان انكر باشد العبارات وابلغها مقصداً لو انفذ لكان انفاذهُ مفيداً لمصلحتك . فانك لو انتفعت بالخيانة لاستحقرت الخائن وهذا القول حسبي لا ازيدك عليهِ . وليس ذلك خوف ان أخدش مسامعك الحليمة بل كراهية ان يعزى الى تيبرون امرٌ لم يدر في خلدهِ . قد حظر عليك يا تيبرون ان تطأ ارض اقليمك وزعمت ان منعهم اياك كان على اقبح الوجوه هواناً فكيف اطقت ذلك الهوان والى من رفعت شكواك بهِ أالى من سرت تحت لوائهِ . فان كنت قد اتيت الاقليم لتخدم قيصر فكان ينبغي ان تنضم الى قيصر فلم تفعل بل ذهبت فانحزت الى عدوهِ بومبه فكيف تجرأت ان تشتكي بين يدي قيصر على من منعك إن تحارب قيصر . ومع ذلك تفتخر مموهاً انهُ لو لا معارضة فاريوس وغيره من الناس لكنت قد سلمت الاقليم الى قيصر . واني انقم على ليكاربوس انهُ حرمك فرصة فخر باهر ومجد عظيم

(٩) قيصر . انظر اي ثبات لتيبرون الرجل المتحلي بكثير من الصفات الرائعة . فالثبات افضل عندي من سائر الفضائل ولو لم اعلم انك انت نفسك تقدمهُ على جميعها لماذكرت

---

(١) الاواصر جمع آصرة وهي ما عطفك على الرجل من رحم او قرابة او صهر . والآصرة ايضاً المعروف

ذلك فهل رئي قطُّ في رجل ما ثبات مثل هذا بل صبرٌ كصبرهِ فما اقل أُولئك الذين في الفتن الاهلية كانوا قادرين ان ينضموا الى من لم يحسنوا استقبالهم بل اطرحوهم بقساوة . مثل هذا السعي يشف عن نفس كبيرة ويدلُّ على ان لا هوان ولا شدة ولا خطر تستطيع ان تذهب بصاحبهِ عن الحزب الذي حاز بهُ

هذا ولنفترض ان تيبرون وفاريوس سواءٌ في الفضائل والشرف وعلو المقام والذكاء فان الاول اي تيبرون يفضل الثاني اي فاريوس بانهُ وفد على اقليمهِ بامر مجلس الشيوخ مؤيَّدًا بسلطة شرعية ولما رفضهُ الاقليم ذهب لكن لا الى قيصر خوف ان يقال انهُ كان يفعل ذلك عن حقد ولا الى رومة تملصاً من ان يرمى بالتهاون والتواني ولا الى اقليم آخر من الاقاليم محاذرة ان يقال انهُ خطَّأَ الحزب الذي مال اليهِ بل توجه الى مقدونية الى معسكر بومبه الي ذلك الحزب الذي كان قد اطرحهُ اطراحاً مخزياً

ان قلة مبالاة الرجل الذي انحزت اليهِ بما نزل بك من الاهانة فتت في عضدك وبردت حميتك . نعم كنتم في المعسكر لكن قلوبكم كانت بعيدةً منهُ ولا غرو ففي الحروب الاهليَّة يتشوَّق الناس كما كنت اتشوَّق وانتم تتشوَّقون الى الفوز. نعم لا انكر اني كنت أُشير بالسلم لكن كان قد فات وقتهُ . فكان الفكر في السلم ضرباً من الجنون وقد كانت الجيوش في حومة الوغى فكلنا كما قلت واقول نريد ان نغلب ولا سيما انت اذ انضممت الى الجيش فلم يبقَ لك ندحةٌ عن الانتصار او الموت ومع ذلك ففي هذه الحال لا اشك انك لا تفضل الحياة التي منَّ بها عليك قيصر على الانتصار الذي تتوق اليهِ

(١٠) ما كنت قلتُ ما قلتُ يا تيبرون لو علمت انك ستندم على ثباتك او ان قيصر سيندم على احسانهِ فايُّ اهانة كنت تسعى للانتقام لها أَاهانتك ام إهانة المشيخة فان كانت إهانة المشيخة فابدأ بتبرئة ثباتك مع هذا الحزب وان كانت اهانتك افتظن ان قيصر ينتقم لك من اعدائك وهو لم ينتقم من اعدائهِ فهل ترى يا قيصر اني حاولت ان أُدافع عن ليكاريوس وان ابرئهُ وازكيهُ ولم يكن غرضي من الكلام الَّا ان احرك مروءَتك وحلمك ورأْفتك

قد دافعتُ في كثير من الدعاوى حتى معك حين نجاحك الاول في المحاماة ولم تسمعني قط اقول امام المحاكم اعفوا ايها القضاة ان من أُدافع عنهُ قد ارتكب الخطأ والاثم لا عن رويَّة وان كان لا سمحت الآلهة قد وقع ذلك منهُ فيما بعد

هذا منهج المدافعة عن ولدٍ بين يدي والدهِ واما القضاة فيقال لهم لم يفعل ذلك ولم يكن لهُ اربٌ فيهِ والشهود مزورون والشكوى افتراءٌ . أَلا قل يا قيصر فلست هنا الَّا قاضياً قل ايّ

حزب اتبع ليكاريوس . انا اسكت على هذا واعدل عن كثير من الوسائل التي كانت تقع موقع القبول عند قاضٍ . فانهُ غبّ ان سافر وكيلاً عن الحاكم قبل القتال وبعد ان ترك في اقليمهِ كل مدّة السلم وعقب ان فاجأتهُ حرب غير متوقَّعة فبدلاً من ان يسعى في قتالك كان ميلهُ معك يدعو لك بالفوز . هذا ما ينبغي ان يقال لقاضٍ لو كنتَ قاضياً لكني اخاطب اباً فاقول اني اخطأت وغلطت وانا نادم مستغفر عن زلّتي فان كنت حتى الساعة لم تعفُ عن احدٍ فتوسُّلي تحة مني وان كنت قد عفوت عن كثير من المجرمين فاجرِ معي على ما خوّلتني من حقّ الامل والرجاء . أفيبقى ليكاريوس بلا املٍ وقد اذنت ان اقوم شفيعاً بين يديك

(١١) لا على خطابي ولا على التماس اصحابك بنيت الأَمل في نيل الارب فقد علمت انك في جميع الحوادث التي يشفع فيها عندك في وطنيّ كنت لحجج الشفعاء ارعى منك لشفاعتهم فلا تراعي مالهم من الحظوة قدر ما تراعي اهتمامهم بشأن من يشفعون فيهِ عندك ومع انك ترتاح الى ان تغمر اصفياءك بالنعم فالذين يتمتعون بكرمك يظهر لي انهم بعض الاحيان اسعد حالاً منك انت الذي تنعم عليهم فمع ذلك قلت واقول ان حججهم تكون اقوى عليك من شفاعتهم . والذين تتبيَّن غمهم اعدل فلهم على قلبك حقوق اقوى

لا ريب انك بالابقاء على ليكاريوس تفيض الابتهاج على قلوب جمّ من اوليائك فلا تصغِ الاَّ الى الحجج التي من شأنها ان تحضك على ذلك . فهؤلاء السابان الذين أجللت بسالتهم وهذا اقليمهم زهرة ايطاليا وغرّة جبينها واثبت سندٍ للمشيخة هم يعرفونك معرفة كاملةً . ألا انظر الى توجُّعهم وحزنهم . ثم اعلم منزلة بروكيوس في عينك وهو وابنهُ حاضران هنا وانت ترى الدموع منسجمة من عيونهما والغمّاء باديةً على وجوهما . وهل اذكر اخوة ليكاريوس آه فلا تحسبنّ هذا يتعلق بخلاص رجلٍ واحدٍ فانت مزمع إما ان تبقي في رومة بني ليكاريوس الثلاثة واما ان تنفيهم ثلاثتهم . والمنفى كائناً ما كان يظهر لهم افضل من الوطن والبيوت وآلهتها . وان كان هو وحدهُ الذي ينفى فعسى دموع اخوتهِ ومن اخذهم التوجع لهُ ورأفتهم الاخويَّة وعواطفهم الطبيعيَّة ان تلاقي منك قلباً يرثي لها . وعسى ان تحقق هذه الكلمة الخارجة من فم الغالب "خصومي كما تقولون يعدُّون عدوًّا كلّ من لا يحطب في حبلهم(١) وانا اعدُّ كل من لا يحطب في حبل عدوّي صديقاً لي" . اترون ايها الوطنيون الاماثل عترة بروكيوس كلهم ومرسيوس وسيزينيوس وكورفيديوس الفوارس

---

(١) يقال حطب فلان في حبل فلان : اذا نصبوهُ واعانهُ

الرومانيين لابسين ثياب الحداد . انتم تعرفونهم وتجلونهم ولقد كانوا معكم ولقد شجنا عليهم ولمناهم على تغيُّبهم حتى ان بعضنا اوسعوهم وعيداً وتهديداً

ألا استبقِ لاصفيائك الصفيّ الذي يسألونك الابقاء عليهِ وبيّن ان وعد قيصر لم يكن مَلثاً (١)

لو استطعت ان ترى ما كان من الاتحاد بين بني ليكارس كما هو لحكمت انهم ثلاثتهم كانوا معك ومن ذا الذي يجد طريقاً الى الشكّ ان ليكاريوس لو تسنَّى لهُ ان يكون في ايطاليا لانحاز الى هذا الحزب كما انحاز اليهِ اخوتهُ . هل من احدٍ يجهل ما بين هذه الاخلاق القويَّة التشابه من متانة المباديء واتفاق الآراء . وهل خالج احداً الريب ان لا يراهم مختلفي الاهواء والمصالح . نعم كلهم ثلاثتهم كان هواهم معك غير ان واحداً قد اقصتهُ الزوبعة التي حدثت في البحر . وهب ان ذلك كان عن اختيارٍ فلهُ اسوةٌ بكثيرين ممن ظفروا بعفوك وكرم صفحك . ذلك وافترض الآن انهُ سافر وفي ضميرهِ ان يوقد نار الحرب وانهُ انحاز عنك وعن اخوتهِ ايضاً فاخوتهُ الذين كانوا معك يشفعون فيهِ عندك . وان الارتباكات التي أُحدثت لك في رومة تشهد كما اتذكر بما بدا لليكاريوس وقد كان وزير المالية يوم ذاك من العناية والهمة تأييداً لحقوق مقامك وفي الاشارة الى ذلك غناءٌ . فارجو ان قيصر الذي نفسهُ الشريفة الكريمة لا تستطيع ان تنسى الاَّ الاهانة ان يذكر ما لوزير المالية هذا من الخدم المحمودة وان يذكر سيرة بعض حلفائهِ ورفقائهِ

لم يكن في وسع ليكاريوس ان يسبق فيتلافى ما حدث فلم يقم في ضميرهِ يوم ذاك الاَّ ان يثبت لك غيرتهُ وخلوصهُ وهو اليوم يتضرع اليك في خلاص اخيهِ . فاذا ذكرت هذه الخدمة قدَّمت لهم ولجميع هؤُلاء الوطنيين الأَجلاء ولي انا وليهم بل لجميع المشيخة ثلاثة اخوة ملءُ نفوسهم شرف وفضيلة . فما صنعتهُ من عهدٍ قريب في مجلس الشيوخ مع مرسلوس العظيم فتكرَّم واصنعهُ اليوم في الفورم (٢) مع اخوة يحترمهم هذا المشهد . فقد وهبت مرسلوس لمجلس الشيوخ فهب ليكاريوس للشعب الذين خاطرهم غالٍ عندك . فاذا كان يوم الصفو امجد لك واحبّ الى الشعب الرومانيّ فلا تتردَّد يا قيصر ولا تتأخر عنهُ . استحلفك ان تغتنم الفرص الموصلة الى مثل هذا المجد فلا احبّ الى الناس من الرأفة وهي موضع اعجابهم دون جميع ما تزيَّنتَ بهِ من المناقب وبها يُعرف الناس انهم ادنى الى الالوهيَّة . فما من شيءٍ اعظم

---

(١) الملث بفتح فسكون : وعد لا ينوى بهِ الوفاء والغرض منهُ ان يرد بهِ السائل طيب النفس

(٢) الفورم مكان برومة كان يحتفل فيهِ للتكلم في الشؤُون العمومية

في سعادتك من ان تجعل البشر سعداء وما من شيء احسن في طباعك من ان تصبوالى ذلك

ربما كانت هذه الدعوى تقتضي خطبة اطول لكنما خطبة اقصر من هذه كانت كافية لقلب من مثل قلبك . ولما كان قائماً في اعتقادي ان افضل خطيب يقوم بين يديك انما هو انت نفسك وقفتُ عند هذا الحدّ لا اضيف اليهِ الاّ هذه العبارة انك بالعفو عن ليكاريوس الغائب تقلّد نعمة جسيمةً اعناق كل من ترى من هؤلاء الملتمين بين يديك . انتهى

سعيد الخوري الشرتوني

* * *

الشعر ومصلحة الامة

كان شعراؤُنا يرفعون قصائدهم الى الملوك والامراء ولا يضمنونها الاَّ المديح والاطراء وان الّموا بغاية لم تتعدَّ مصلحة لهم او التعريض بامر لا مصلحة فيهِ للامَّة اما الآن فصرنا نرى من الشعراء اهتماماً بالمصالح العامَّة . وقد بعث الينا احد فضلاء تونس بقصيدة رفعها الى مولاهُ باي الايالة التونسية مهنئًا اياهُ بالعام الجديد ومتوسلاً اليهِ ان يرفع منار العلم في البلاد . وممَّا جاء فيها قولهُ

سعد السعود اليك اهدى   في ساعة الاقبال وفدا
عام سعيد امَّكم   دامت لك العلياءُ تُهدَى
ان الولاء اعز ما   يهدى لسدتكم ويسدى
سعدت مطالع عمركم   وحباك عون الله رفدا
وامدكم توفيقهُ فيما   الى الاصلاح ادَّى
يا ايها الملك الذي   فرشت لهُ العلياءُ خدا
ما جاء مثلك سيد   ركب الثناء اليهِ يحدى
ملك تراهُ مع الفتـ   ـوة للعلاء ابًا وجدا
اسهر على خير البلا   د فانك الملك المفدَّى
وامدد يمينك للنجا   ح وجدَّ في الاصلاح جدا
ان كنت أُصدق سيدي   فالحال تؤْذي الحر جدا
او كنت اكذبهُ فقد   داهنتهُ والغش اعدى
ابناء قومك اصبحوا   في زمرة الاموات عدا

لا نصرة الآ اذا   ربع العلوم بك استجدا
فالعلم يمنح اهلهُ   بين الورى عزًّا ومجدا
قد جئت ارجو منكمُ   ما حافظ من سعد ودًّا (١)
والامر سهل سابغ   ومقال مثلك لن يردا
فارحم مدارسنا التي   فيها الجهول قد استبدا
وانظر لجامعنا الذي   هدتهُ ايدي الجهل هدًّا
فلقد تجلل بالسواد   وبالجهالة قد تردَّى
هل فيهِ للعمران من   نور تالق او تبدى
مع انهُ البحر الخضم   لهُ الرحال تشدُّ شدا
فاذا تراجع جزرهُ   وغدا بعرفان ممدًّا
أغنى العباد بلجهِ   وسقى البلاد وساغ وردا
فانعش بهِ آمالهم   حتى يجدُّوا فيه جدا
ويذوق فيهِ شبابنا   من لذة التعليم شهدا
وليفقهوا من امرهم   ما كان بالاصلاح اجدى
وليسألوا التاريخ عما   جر للاجيال حمدا
فالعلم نور ساطع   يؤْذي عيونًا بتن رُمدا
لو بات كل عاملاً   بالزهد امسى السهل صلدا
والله يكره في الخلائق   كل بطَّال علندى
يا ايها الملك الذي   اربى على الجوزاء مجدا
اني اصوغ لجيدكم   من لؤلوء الاخلاص عقدا
ورجايَ عند قبولهِ   ان لا يحل ولا يردا
قد صغتهُ من جوهر   اضحى بمدحي فيك فردا
يهنيك عام اسعد   عش مثلهُ الفين عدا
ارختهُ نورًا يرَى   سعد السعود اليك اهدى

"ش . ف"

---

(١) اشارة الى دالية حافظ افندي ابرهيم التي رفعها الى ناظر المعارف المصرية سعد باشا زغلول

كانت سورية مدرسة اوربا

يعلم القراء الالباء ان غارة الاسكندر المكدوني على سوريَّة ورسوخ قدم خلفائهِ السلوقيين فيها صبغ البلاد بالصبغة اليونانية بحيث اصبح الكثيرون من سكانها يتكلمون لغة السائدين فيها وينتحلون مناهجهم وامسى كبراؤُهم وادباؤُهم يقرأُون كتب اليونانية وآدابها ويتعلم متأَدبوهم العلوم والفنون المتصلة اليهم من حكماء اليونان . ولم ينحصر هذا في القطر السوري بل تعدَّاهُ الى ما بين النهرين وغيرهِ من الاقطار الاسيويَّة التي ساد فيها العنصر اليوناني غير ان القول بتأَدب المستنيرين باليونانيَّة لا يفيد ان سكان تلك الاقطار بجملتهم نبذوا لغاتهم ظهريًّا والاَّ لما قام في اذسَّا وهي الرها الحالية مدرسة تعلّم العلوم واللغتين اليونانيَّة والسريانية تعليمًا حسنًا اذاع صيت المدرسة حتى تقاطر اليها طلاب العلم

وكانت اذسَّا يومئذٍ محط رحال علماء السريان وفيها المكاتب الحافلة بكتب لغتهم اليونانية . على ان الكتب اليونانية كانت واعيةً فلسفة اليونان وآدابهم فانبرى بعض جهابذة السريان لنقل تلك العلوم الى لغاتهم لفائدة السواد الاعظم من ابناء جنسهم

وظلت هذه المدرسة عاملةً على نشر العلوم من القرن الخامس للمسيح الى ان جلس على اريكة الدولة الشرقية الامبراطور زينون فاضطهد النساطرة لانهم على غير مذهبهِ اضطهادًا شديدًا حمل علماء اذسَّا على مبارحتها والنجاة بانفسهم من ظلمهِ الى نصيبين فتضرَّرت مدرسة اذسا لكن نشأَ عوضها مدرسة نصيبين وشاع ذكرها

اما اليعاقبة فكان من امرهم انهم طلبوا العلم والفلسفة وبرعوا في تحصيلهما ونشرهما وانشأُوا لذلك مدرستين احداهما في رساين اسَّسها سركيس مطران تلك المدينة والاخرى في قنسرين

والعلوم التي كانت تدرّس في تلك المدارس هي الفلسفة والطب والصيدلة والحيوان والنبات والجغرافيا وعلم الفلك وغير ذلك مما كان لليونان فيهِ باع طولى

اما الطب فكان اشتغال النساطرة بهِ قديمًا ومشهورًا بين اهل الشرق يرجع فيهِ الى آراء مشاهيرهم الآخذين هذا العلم عن اليونان

وشهرتهم فيهِ سهّلت لبعض من فرَّ من علماء اذسا الى خوزستان ان ينشئ هنالك مدرسة للتعليم فما عتم ان اشتهرت هذه المدرسة بنجاحها الباهر وخرج منها كثيرون من العلماء ونطس الاطباء الذين علت مكانتهم بما نالوا من الحظوة في البلاط الكسروي ولدى امراء العرب في الحيرة وغسَّان

ولما فتح العرب سوريَّة وبين النهرين ورسخت قدمهم فيهما نشأت مدرستان عظيمتان احداهما في انطاكية والاخرى في حاران لتعليم الطب واللغات العربية والسريانية واليونانيَّة وآدابها

اما في بلاد فارس فان العلم تقوضت اركانهُ بعد الفتح وكاد ينطمس على اثارهِ لولا نهوض العباسيين لنصرة العلوم والفنون . فان اولئك الخلفاء اولعوا بالحكمة والطب فاحيوا موات الهمم في طلبهما واستخدموا لنشرهما تلامذة المدارس النسطورية من السريان واليعاقبة الذين مرت بهم زعازع الحروب فلم يراعوا بل حفظوا خزائن كتبهم سليمةً لتكون مشكاة هدًى للعالمين

اعتبر ذلك بما عُرف عن الخليفة المأمون كيف بعث يطلب الكتب اليونانية في الحكمة والطب من القسطنطينية عاصمة الروم فلما نالها شرع يهتم بتعريبها وعهد الى حنين بن اسحق احد نطس الاطباء من نساطرة الحيرة بنقل كتب الطب ففعل وكان الرجل ضليعًا بمعرفة اللغات العربية والسريانية فاحكم النقل وانشأ الطب العربي جاريًا فيهِ على النهج اليوناني

والنهج اليوناني في الطب ظلَّ عماد الطب العربي الاَّ ان نوابغ الاطباء من العرب لم يكتفوا بما اتصل اليهم منقولاً عن اليونان بل اخذوا شيئًا من مناهج الهند وغيرهم من المشارقة وزادوا فيهِ اشياء من مبتكراتهم

واشتهر من العلماء في الطب كثيرون من النساطرة وهذه كتب التاريخ تروي اسماء بضعةٍ من نوابغهم وفيهم جماعة من رؤساء الدين وخدمتهِ حتى ذاع فضلهم ولم يأتِ القرن الحادي عشر للمسيح الاَّ ومدارس الطب في الكوفة والبصرة ودمشق والقاهرة وانطاكية واورشليم وطرابلس الشام قد عبق اريج شهرتها وتقاطر اليها الطلاب من اقصى الممالك الاسلاميَّة

واما في سورية خصوصًا فان مدرسة الطب الكبرى كان يديرها خدمة الدين من السريان والنساطرة واليعاقبة حتى انهُ يروى ان المطران ميخائيل رئيس اساقفة اليعاقبة في حلب استعفى من مقامهِ الاسقفي واتى طرابلس واقام فيها يعلم الطب بمدرستها الى آخر ايامهِ . وممن اشتهر في تلك الاونة من علماء الطب تيودور الانطاكي الذي صار طبيبًا للامبراطور فردريك الثاني والطبيبان باسيل الحلبي ويعقوب النسطوري الطرابلسي والطبيب ابو منصور الاورشليمي وتلميذهُ يعقوب بن صقلان طبيب السلطان صلاح الدين الايوبي

وقد اتصل بنا ان في القرنين الثاني عشر والثالث عشر كان الاطباء في سوريا اذا عالجوا انسانًا يكونون ضامنين لسلامتهِ وشفائهِ من دائهِ وتأثير العلاج فيهِ ولكن اذا مات

عليلهم فكان لهم ان يبرهنوا انهُ لم يتَّبع نصائحهم وارشاداتهم ولم يستعمل علاجهم فكان هو الجاني على نفسهِ . وكان الطبيب كلما عاد مريضاً واعطاهُ وصفة علاج تحفظ تلك الوصفة حتى اذا مست الحاجة تؤخذ الى رئيس الاطباء فيرى هل احسن الطبيب فيها او اساء

واذا اخطأ الطبيب خطأً اودى بحياة العليل يؤخذ الطبيب بهِ فيشنق ان كان الميت حرًّا وتحجز املاكهُ وان كان رقيقاً غرم بثمنهِ

وهذا النظام الصارم كان من اوضاع الصليبيين في سوريا . ومن الغريب ان يشددوا على الاطباء الوطنيين مع انهم كانوا في اشد الحاجة اليهم كما سترى ومع انهم لم يكونوا يسمحون لطبيب بالمعالجة الاَّ اذا اجتاز امتحاناً دقيقاً لدى لجنة من الاطباء يرأسها المطران

واما الصيدلة فان القوم كانوا يعتبرونها جزءًا من الطب ولذلك كان الاطباء يهيئون العلاج بايديهم . على ان علم الصيدلة نال من العناية حظًّا حتى كتب اطباء المسلمين والنصارى فيهِ كتباً جمة منها كتاب الفهُ علي الطرابلسي سنة ١٢١٩ م واتصل باوربا واسمهُ باللاتينية
Ornamentum Medici, Tractatus Chymico-Medicus.

وكان في جملة الدروس الطبية امراض العيون والجراحة والبيطرة وقد اهتم الاطباء بالبيطرة كثيرًا وكتبوا فيها واصفين ثلثمئة وعشرين مرضاً يصيب الحيوان

واما الفلسفة فقد كانت عند القوم يومئذٍ ركناً من اركان العلم الطبيعي لاسيما وان علمي الحيوان والنبات كانا يحسبان من اجزاء الفلسفة ولما ولع القوم بقراءة مؤلفات ارسطو مالت افكارهم الى التبحر في العلوم

وتوسع علماء تلك الايام في التاريخ الطبيعي توسعاً حسناً بالنسبة الى حالهم وينسب الفضل في اجادتهم فيهِ الى ما توفقوا اليهِ من جوب الاقطار ومعرفة حيوانها ونباتها

ففي القرن الثامن نبغ الجاهد بن المامون فجمع مجموعةً حسنة من الحيوان وكثيرون من الطلاب اشتغلوا بدراسة هذا العلم ولولا كراهة التشريح وقلة التمحيص لاجادوا في معرفة خصائص الحيوان

واما النبات فقد اينع في سوريا بل يصح ان يُقال ان العلم بهِ نشأَ فيها في القرن الثالث عشر لان ابن البيطار الاندلسي جاء سنة ١٢١٧ م فطاف في مصر واتي انطاكية ونزل دمشق وجال في لبنان يجمع نباتاتهِ ويرتبها وصحب في طوافهِ مصورًا ماهرًا يرسم لهُ ما يعجز عن حملهِ وكان قد سبقهُ الى التبحر في هذا العالم رشيد الدين الصوري الذي وُلد في صور سنة ١١٧٧ وقرأَ العلم في دمشق وعكف على جمع نبات جنوبي سوريا وضواحي بيَروت

وطرابلس وانطاكية ولبنان · واما القزويني فقد نال قصب السبق بما خلف من المؤلفات الباحثة في التاريخ الطبيعي فجعل القسم الاول من كتابهِ عن المعادن واكثر فيهِ من الاستشهاد بما كتب ارسطو وبحث في القسم الثاني في النبات وفي القسم الثالث في علم الحيوان من الانسان وذوات الثدي والطيور والحشرات · ومما يؤْخذ على هذا المؤلف الذي جمع فارعي ان كلامهُ عن الحيوان لم يكن سديدًا في مواضع جمة لانهُ لم يرَ معظم الانواع التي وصفها فجاء كلامهُ عنها ضعيفًا ركيكًا

اما علم الهيئة فان العرب اخذوهُ عن اليونان والهنود واكثر ما اعتمدوهُ آراء مدرسة الاسكندرية ولكنهم لم يقفوا عند حد ما اخذوا بل توسعوا فيهِ جدًّا نظريًّا وعمليًّا فانشأوا كثيرًا من المراصد واهتموا باتقان آلاتها فادركوا درجةً حسَّنوا بها ما اتصل اليهم ونحن نعرف عن اليونان انهم اقدر على احكام النظريات منهم على العمليات لقصورهم في الرصد ومعداتهِ فما لم يحسنوهُ في زمانهم اتمهُ العرب بضبط ارصادهم ودقة حسابهم

ومما نقل ان المأمون اقام مرصدين احدهما في بغداد والاخر في دمشق ثم بعث اربعًا من علماء الهيئة وهم سناد بن علي وخالد بن عبد الملك وعلي بن عيسى وعلي بن البحتري الى السهل الواقع بين تدمر والرقة ليتحققوا مقياس الدرجات

وتبحُّر العرب في علوم الهيئة اضطرهم الى اتقان العلوم الرياضية فبرعوا فيها حتى انهُ نبغ منهم في القرن التاسع بضعة من كبار المهندسين ومن ثم اخذوا الجبر عن الهنود واقدم من امتاز بعلم الجبر محمد بن قرة وثابت بن قرة وصلاح الدين الغزي واعظم ما انصرفت اليهِ هممهم ايضًا حساب المثلثات ليقتدروا على الانتفاع بهِ في ارصادهم وكان من اول النابغين الامير محمد بن جابر البتاني الذي توفي في القرن العاشر

ولم يقتصر علماء العرب على حفظ علوم الاقدمين بل فاقوا في الرياضيات معلميهم من علماء مدرسة الاسكندرية ونبغ منهم في ذلك العصر كثيرون منهم الملك المظفر تقي الدين محمود صاحب حماه

واما الجغرافيا فقد اتسعت عندهم بنسبة رحلاتهم لانهم طافوا سواحل الهند وسيلان والهند الصينيَّة وجاوى وسومطرة وبورنيو منذ القرن الحادي عشر وكان قد سبق بعض كتابهم وكتبوا في القرن العاشر وصفًا لاقطار اسيا الواقعة بين المتوسط وشبه جزيرة ملقا واجادوا في وصفها بما دلَّ على معرفة احوال البلاد ثم قام المسعودي وهو اعلم اهل عصرهِ وكان قد زار الهند واقام في كامباي ثم في مدكسكر حينًا من الدهر واتى بعدها سوريَّة وسكن طبرية

وانطاكية وقد اجاد في ما كتب عن الاقطار التي عرفها

وانشأ الادريسي مدرسةً في صقلية (سيسيليا) اشتهرت بتعليمها فن الجغرافيا تعليمًا حسنًا

وهكذا كانت سوريَّة في تلك العصور ملأَى بالعلماء العارفين الجغرافيا ولربما كان منهم كتبة اودعوا علمهم بطون الاوراق فضاع بضياعها

والخرائط القديمة المحفوظة في متاحف اوربا وهي من صنع القرن الرابع عشر كلها مبنيَّة على المعارف الجغرافية المستمدة من تلك الايام اعتبر ذلك بالخريطة المكتوبة باللاتينيَّة الموجودة في المكتبة الوطنية في باريز عدد ٤٩٣٩ فانها رسمت سنة ١٣١٠ للارض المقدسة وتجد فيها المواقع مضبوطة كل الضبط ومجموع خرائط بياتروفسكونتي المرسومة سنة ١٣١٨ وبغيرها من الخرائط الاخرى

واما الفلسفة فان كتب اليونان فيها عُربت باهتمام الخلفاء ونقلها العلماء من النساطرة واليعاقبة الى اللغة العربية كما هو مستفيض بين قراء التاريخ

واشتغال العرب بالفلسفة لم يحفظها فقط من الضياع بل اكسبها تفنن بعض الحكماء في البحث وتعليق الحواشي عليها حتى صارت موضوعًا يتهافت عليهِ الطلبة

فاتضح لنا من البحث الاجمالي الذي ذكرنا ان سكان سورية في القرن الحادي عشر للميلاد كانوا راقين في معارفهم وعلومهم رقيًّا يُعد يومئذٍ من الطراز الاول الاَّ ان الفرق بين رقيّ تلك العصور ورقيّ اوربا واميركا لهذا العهد عظيم وذلك لان المتعلمين اليوم هم سواد الامم الراقية بخلاف الحال يومئذٍ فان المستنيرين كانوا نخبة الطالبين فضلاً عن ان العلوم التي كانوا يحسبونها يومئذٍ منتهى الحكمة والمعرفة انما هي اليوم مستفيضة بين الناس الاَّ الفلسفة والطب فانهما ما برحا من دروس الخاصة على انهما ارتقيا بذاتهما كثيرًا

اما الاوربيون الذين اغاروا في اواخر القرن الحادي عشر على سوريَّة وامتلكوا بعض انحائها وعرفوا في التاريخ باسم الصليبيين فانهم كانوا في جهلٍ مطبق . وفضلاً عمَّا كانوا يعانون في بلادهم من سلطة الاكليروس والاعيان كانت خلالهم واخلاقهم وآدابهم الاجتماعية والسياسية ومعارفهم ممَّا يكاد لا يجد لهذا العهد مثيلاً الاَّ بين الامم البعيدة عن العمران . فلما رسخت اقدامهم في البلاد رأَى اعيانهم ان القوم المغلوبين ارقى منهم في المعرفة فاندفع ابناؤُهم يطلبون العلم في المدارس التي وجدوها . واهم ما اتجهت اليهِ خواطرهم علم الحقوق فبرع فيهِ كثيرون منهم

ومما يحكى عن احد عظمائهم المسمى رينوده ساجت انهُ برع في العلوم والآداب الشرقية براعةً عقدت عليهِ الخناصر وانهُ كان مولعاً بدروسهِ حتى انهُ استخدم عالماً من الوطنيين يقرأُ لهُ كتب العلم ويفسرها حتى تضلع منها واصبح في مقام يعجب منهُ علماءُ الشرق انفسهم وقد اجتمع بهِ بعضهم سنة ١١٨٨ في حضرة السلطان صلاح الدين الايوبي فادهشتهم غزارة مادتهِ وسعة علمهِ . وكان لهُ ابن اسمهُ باليان قيل عنهُ انهُ فاق اباهُ

ومال غير من ذكرنا لقراءة علوم اليونان وآداب لغتهم فبرعوا فيها اخصهم جفروى الكاهن فقد ذكر عنهُ احد المؤَرخين انهُ كان اعلم اهل زمانهِ باليونانية وادابها

ومعظم الامراء والاعيان ولعوا بتعلم اللغة العربية فبرع منهم كثيرون اخصهم البرنس همفروى ده تورون الذي كان يترجم بين الملك ريشار قلب الاسد والملك العادل اخي السلطان صلاح الدين ومثلهُ بودوين دابلين الذي كان ترجمان الملك لويس القديس اثناء اسرهِ في مصر

واما الجغرافيا فان الصليبيين مالوا لدراستها بكليتهم منذ وطئت اقدامهم ارض سوريا لما قدَّروا من انها تجر لهم نفعاً ومثلها علم الهيئة

واما علم الطب فالمستفاد من تواريخ الشرق والغرب ان الصليبيين كانوا يعتمدون فيهِ على علماء البلاد اكثر من اعتمادهم على علمائهم واخص من نال ثقتهم رجال الدين من السريان اليعاقبة لان الاطباء الافرنج الذين جاؤُوا من اوربا لم يكونوا يضارعون الوطنيين في معارفهم الطبية واقتدارهم ولذلك لبثوا احط منهم شأْناً. لا سيما وان معارف اولئك كانت قاصرةً على تجاربهم من غير علم صحيح بالامراض وخصائص الادواء ولهذا مال الصليبيون منذ حلوا سوريا الى الانتفاع بمعارف الاطباء الوطنيين من سريان ونساطرة ويعاقبة واسرائيليين ومسلمين فاصبح الاطباء في مقام عالٍ في المجتمع الافرنجي. ولا تخلو تواريخ الصليبيين من الامتعاض من حالة اطبائهم وقصور معارفهم ولعل ذلك كان سبباً في تشديد الوطأَة على من يسيءُ المعالجة منهم. ومعظم مؤَرخي تلك الاونة متى كتبوا عن الطب والاطباء يحصرون كلامهم في العواصم الاسلامية كدمشق وبغداد والقاهرة وما فيهن من المدارس الآ ان في تضاعيف اخبارهم ذكراً لا سماء بعض نوابغ المدارس الاخرى في سوريا لا سيما المدرسة الكبرى المسيحيَّة التي يستفاد من رواية كاترمر quatremere وراي E. Ray انها كانت في طرابلس الشام تعلم الفلسفة والطب وقد نبغ منها كثيرون من المشاهير ومثلها مدرسة انطاكية

واما في التاريخ الطبيعي فلمدرسة طرابلس القدح المعلّى لانها فضلاً عن المؤلفات القديمة التي كان طلابها يقرأُونها كانت تأْخذ كثيرًا عن السياح والمسافرين

ويستفاد من رواية المؤرخ جاك ده فتري ان بعض الصليبيين وهو في جملتهم طلبوا هذا العلم ايضاً ولكن ما ذكرهُ نتفاً من الموضوع يدل على ان هذا العلم لم يكن خالياً من الترهات والركاكة على ان بعض نقدة عصرنا يرى ان المؤرخ المأثور عنهُ تحرّي البحث والتدقيق في كل موضوع وقعت عينهُ عليهِ فجاء كلامهُ صحيحاً بخلاف ما ذكرهُ عما لم يرهُ بل نقل حديثهُ نقلاً فان هذا الضرب مملوءٌ بالوهم والخطاء

اما الفلسفة فان مدارس سورية شرعت تعلمها على ما اتصل بها عن اليونان والسريان والعرب وكان يغلب عليها صبغة مذهب ارسطو بدليل ان بعض نقدة العصر يرون في مذهب ابن العبري الفلسفي شيئاً من مظاهر هذه الصبغة . وابن العبري كما روى السمعاني من تلامذة مدرسة طرابلس

وقصارى القول ان السوريين من النساطرة واليعاقبة وغيرهم حفظوا العلوم القديمة من الضياع واتسعوا في فهمها ونشرها وعلموها للصليبيين النازلين بين ظهرانيهم فكانت شعلة نورٍ اتصلت بواسطتهم باوربا ومدارسها القديمة حتى قال جوردان Jourdain ان مدارس باريز ابتدأَت تعلم فلسفة المشائين سنة ١٢٢٠ وسنة ١٢٢٥ وهذه الفلسفة على ما ذهب اليهِ العلاَّمة رينان هي التي كان يعتمدها السوريون

فان صحّ ذلك فلسوريا الفضل الاعظم في تعليم اوربا . الاَّ انَّا ندوّن ذلك من قبيل البحث التاريخي البحت لا نقصد بهِ التفاخر لانهُ لا يفتخر بالرمم الاَّ سافطو الهمم

ومما يجب ان يذكر ان اطلاقنا اسم العرب على المشتغلين بالعلم لا يختص بابناء الامة العربية بل يشمل كل الذين كانوا قد خضعوا لحكم العرب من الفرس والسريان والروم وغيرهم

فعسى ان نتقد فينا الحميَّة لاسترجاع عز الشرق العلمي ومكانتهِ السامية في الرقيّ بما نأْخذ عن القوم السابقين من دراسة مناهج رقيهم لئلاَّ نظلّ في تأَخرنا ونراهم في اوج حضارتهم فنقول حسبنا انهم يمتعون بما اخذوهُ عنا

ر . ن

البريد المصري

وسابا باشا

كيفما قلَّب المرء طرفهُ في احوال هذا القطر واعمال حكومتهِ رأى دلائل الارتقاء بادية عليها كلها ولو على درجات متفاوتة · والثقات الذين يعتمد على قولهم يشهدون ان مصلحة البريد من ارقى مصالح القطر ان لم تكن ارقاها كلها ويشاركهم في هذه الشهادة الالوف من سكانهِ من وطنيين واجانب · ثم ان الاوربيين والاميركيين الذين تكلموا عن مصلحة البريد المصرية وقابلوها بمصالح البريد في اوربا واميركا شهدوا انها من ارقاها كلها لا تفوقها مصلحة بريد في اوربا ولا في اميركا وان الفضل الاكبر في ترقيتها وابلاغها هذا الحد هو لمديرها العام صاحب السعادة سابا باشا · وقد عزم هذا العامل الهام على اعتزال الخدمة وضمَّن التقرير السنوي الاخير الذي وضعهُ لمصلحة البريد ادلَّة ارتقائها في العشرين سنة الماضية اي منذ تولى ادارتها الى الآن . وقد جمعنا خلاصة ذلك في الجدول التالي وهو عن ارتقاء كل فرع من فروع البريد من سنة ١٨٨٦ الى سنة ١٩٠٦ محسوبة فيهِ حالتهُ كل سنة خامسة بدلاً من كل سنة

	١٨٨٦	١٨٩١	١٨٩٦	١٩٠١	١٩٠٦
عدد المراسلات	١٢٦٩٥٠٠٠	١٧١١٦٠٠٠	٢٤١١٠٠٠٠	٣٣٧٢٠٠٠٠	٥٨٠٠٠٠٠٠
عدد الخطابات المومن عليها	١٣٦٠	٢١٠٠	٢٢٠٠	٤٠٠٠٠	١١٧٠٠
قيمة " "	٤٢٨٠٠ ج	٨٣٣٠٠	٧٢٨٠٠	١٩٠٠٠٠	١٠٦٨٠٠٠
قيمة الحوالات وصرر النقود	١٠٦٥٣٠٠٠	١٣٣٥٣٠٠٠	١٥٩٠٠٠٠٠	١٧٤٠٠٠٠٠	٢٣٣٥٨٠٠٠
عدد طرود البوسطة	١٢٣٣٠٠	٢٠٣٦٠٠	٢٨٤٠٠٠	٤٤٧٠٠٠	٨٥٨٠٠٠
عدد اوراق التحصيل	٢١٠٠	٣٧٢٠٠	٤٢٨٠٠	٦٢٥٠٠	١١٦٦٠٠
قيمة " "	٦٣٠٠ ج	٦٠١٠٠	١٨٢٢٠٠	٤٣٦٥٠٠	٩٠١٣٠٠
مكاتب البوسطة وفروعها	١٧٤	٥١٧	٧١١	٩٧٢	١٢٤٩
دخل مصلحة البريد	١١٤٣٠٠	١١٢٢٠٠	١١٤٧٠٠	١٤٣٢٠٠	٢٣٧١٠٠

فعدد المراسلات زاد من نحو ١٢ مليونًا الى ٥٨ مليونًا اي نحو خمسة اضعاف وعدد الخطابات المؤمن عليها زاد من ١٣٦٠ الى ١١٧٠٠ اي نحو ثمانية اضعاف وقيمتها من ٤٢٨٠٠ جنيه الى مليون و ٦٨ الف جنيه اي ٢٥ ضعفًا · وقيمة الحوالات وصرر النقود من عشرة ملايين الى ٢٣ مليونًا فزادت ١٣ مليونًا من الجنيهات وعدد الطرود من ١٢ الفًا الى نحو ٦٨

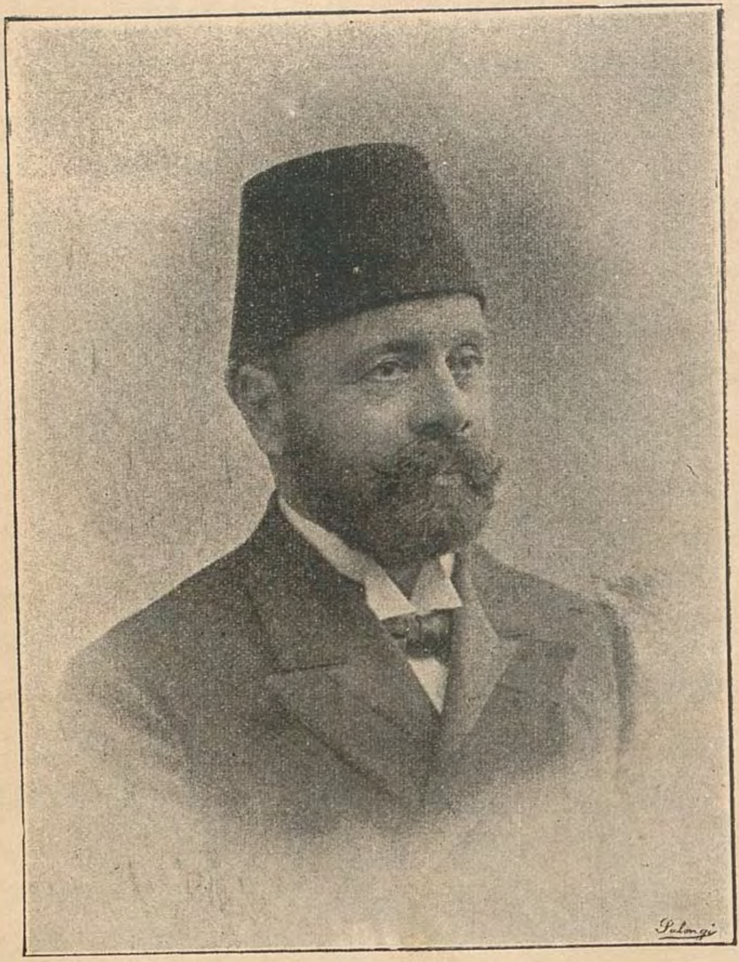

سابا باشا

الفاً وعدد اوراق تحصيل النقود من الفين الى ١٦ الفاً وقيمتها من ٦٣٠٠ جنيه الى تسع مئة الف جنيه ومكاتب البوسطة وفروعها من ١٧٤ الى ١٢٤٩

وقد خفضت اجرة نقل المراسلات كلها النصف ومع ذلك زاد دخل مصلحة البريد من نحو سبعين او ثمانين الف جنيه في السنة اي نحو ٢٣٧ الف جنيه اما الدخل المذكور سنة ١٨٨٦ و ١٨٩١ فيشمل ايضاً ايراد وابورات البوسطة التي ابطلت من ذلك العهد

وقد اضيف الى البريد ما سمي بصندوق التوفير يشترك فيهِ الآن نحو تسعة وخمسين الف نفس الوطنيون منهم نحو ٤٤ الفاً والباقون من الاجانب · وثمانية آلاف من هؤلاء التسعة والخمسين الفاً نساءٌ وكان في هذا الصندوق في ختام العام الماضي ٣٣١ الف جنيه وكان فيهِ في ختام العام الذي قبلهُ ٢٤٠ الف جنيه وفي ختام عام ١٩٠١ الذي انشئ فيهِ نحو ٤٨ الف جنيه لا غير . واضيف اليها ايضاً صندوق توفير للاحداث فاشترك فيهِ حتى آخر العام الماضي ٤٢٢٥ منهم وعيّن مستخدم مخصوص يذهب الى المدارس في ايام معلومة لاستلام ما يوفرونهُ وايداعهِ صندوق التوفير

وكيفما قلَّبت نظرك في اعمال البريد المصري لا تجد الَّا عقلاً مدبرًا مهتمًّا بمصلحة البلاد وتسهيل المعاملات على سكانها وهو عقل الرجل الهمام سابا باشا مديرهِ العام · ولقد كان يحضر المؤتمرات الدولية ويقترح فيها الاقتراحات المفيدة ويناضل عنها حتى يقبلها رفاقهُ من مديري البرد ويُعمَل بها. فلهُ فضل على البريد بنوع عام كما لهُ فضل على البريد المصري بنوع خاص · وهو لا يزال كهلاً في تمام قوتهِ وهمتهِ فقد ولد سنة ١٨٥٢ من عائلة سورية استوطنت القطر المصري في زمن محمد علي باشا ووظف في مصلحة البوستة سنة ١٨٧٢ وجعل وكيلاً لها سنة ١٨٨٥ ومديرًا عامًّا سنة ١٨٨٧ وناب عن الحكومة المصرية في مؤتمر فينا سنة ١٨٩١ وفي مؤتمر وشنطون سنة ١٨٩٧ وفي مؤتمر رومية سنة ١٩٠٦ ونال الرتبة الثانية سنة ١٨٨٢ ورتبة ميرميران سنة ١٨٨٨ ومن النياشين المجيدي الثاني والعثماني الثاني والمجيدي الاول ونيشان تاج ايطاليا من الدرجة الاولى ونيشان فرنسوى جوزف النمسوي من الدرجة الثانية · ولما عين مديرًا عامًّا للبوستة كتب لورد كرومر في تقريرهِ يقول انهُ اول وطني عين مديرًا لمنصب هام وان تعيينهُ في هذا المنصب الهام ارضى جميع الذين يهمهم ذلك · ولما استعفى من هذا المنصب كتب اليهِ ناظر المالية يقول نيابةً عن الحكومة المصرية " واذا شقَّ عليكم ان تفارقوا مصلحة اقمتم فيها منذ خمسة وثلاثين عاماً وادرتموها منذ عشرين سنة فنظارتنا تأسف من جهتها اشد الاسف لحرمانها من موظف كبير فاضل مثلكم بعد الخدمة

الطويلة التي قمتم بها لتوسيع مصلحة البريد التي حلَّت تحت ادارتكم الموصوفة بالتدبير والفطنة محلاًّ رفيعاً ونجحت نجاحها الباهر المشهور. ولا يمكنني ختم هذا الكتاب بدون ان اعرب لكم عن خالص شكري وشكر الحكومة لخدماتكم الطيبة الثمينة . واوجه لكم اخلص تهنئاتنا بالتقدم العظيم الذي احسنتم قيادة مصلحة البريد اليهِ"

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الاشربة الروحية

قلما تجد مائدة من موائد الافرنج خالية من الشراب من الخمر او البيرا او الشمبانيا . ولا تولم وليمة من غير ان تشرب عليها اقداح الراح . ولا تحسبنَّ ذلك خاصًّا بالافرنج بل هو شائع عند كل الامم حديثهم وقديمهم . فآثار مصر وخرائب بابل واشعار اليونان وتواريخ الرومان واخبار الامم الحاضرة والغابرة وكتب الرحلات كل ذلك ناطق بان الناس لم ينفكوا عن تعاطي كؤُوس الراح من اول عهدهم بين مقلٍ ومكثر ومتعلّل ومدمن . ولم ينفكَّ فضلاؤُهم عن التحذير منها والنهي عنها وحجتهم انها تسكر وتذهب العقل وتتلف المال والصحة. لكن النهي والتحذير لم يأْتيا بطائل فلا يزال الناس ينفقون على الخمور اضعاف ما ينفقونهُ على تعليم اولادهم وينفق بعضهم عليها اكثر مما ينفق على طعامهِ ولا يزال الاطباء يصفونها لضعاف الاجسام كأَنها من المقوّيات فيقوّون اعتقاد الناس فيها ويزيدون ميلهم اليها . فهل الاطباء مصيبون في ذلك وهل نفع الخمور كافٍ للتكفير عن مضارها هذه مسأَلة جديرة بالنظر ولا سيما بنظر الاطباء .

ولا نريد بالمضار هنا مضارّ السكْر لانها تفوق كل ما يمكن ان ينسب الى الخمر من النفع اضعافاً كثيرة فلا وجه للموازنة بينهما وانما نريد مضار الشرب المعتدل او شرب الخمور على الطعام الذي اعتادهُ الاوربيون ومن جرى مجراهم واتفق اكثر الاطباء على وصفهِ لنحاف الاجسام او للذين ساءَ هضمهم للطعام

يُقصد بالطعام تغذية الجسم وبالشراب تسهيل هضم الطعام حتى يغذي الجسم . وليس وراء ذلك فائدة عملية من الطعام او من الشراب لمن يأكل ويشرب . نعم ان من يبيع الاطعمة والاشربة يستفيد كثيرًا من بيع بضاعتهِ نفعت المشترين او اضرتهم ولذلك نرى صانعي الخمور وبائعيها من اغنى اهل الارض ولكن هذه الفائدة خارجة عن موضوع بحثنا ولو كانت الدافع الاكبر لترويج الخمور في الدنيا . ولا ينكر ان في الطعام والشراب لذة للآكل والشارب ولكنها تختلف كثيرًا باختلاف الناس واعمالهم واحوالهم من الصحة والمرض والراحة والتعب والانس والوحشة وباختلاف الرهط والصحب الى غير ذلك مما لا ضابط لهُ لكن هذه اللذة وان افادت في بعض الاحيان لا تعدُّ من النفع المقصود بالطعام والشراب وهو تغذية الاجسام . فان جسم الانسان كجسم الحيوان وكجسم النبات من هذا القبيل ينمو ويقوى وتصلح حالهُ بالغذاء الكافي ويؤذى ويضعف وتفسد حالهُ بقلة الغذاء

ازرع بزرة في التراب واتركها من دون ماء فلا تنبت او ازرع البزرة في الماء واتركها من دون تراب فلا تنبت وان نبتت ذوت ويبست حالاً . لان نمو البزرة حتى تصير شجرة يقتضي ان تغتذي والغذاء يأتيها من التراب ولكن لا بدَّ من ان يذوب اولاً في الماء حتى يتمكن من دخول جسمها وتغذيتها . فاذا زُرعت في التراب ورويت بالخمر لم تعش ولم تنبت . وهذا امر يستطيع كل احد امتحانهُ فيرى ان الخمور لا تذيب الاطعمة على اسلوب يجعلها صالحة لتغذية النبات . وجسم الحيوان يختلف عن جسم النبات من وجوه كثيرة ولكنهما يتغذيان على اسلوب واحد تقريبًا

ولقد ابنا في مقالة سابقة موضوعها الحق والباطل ان مقياس الحقائق استعمالها والانتفاع بها . وهذه الحقيقة اي ضرر شرب المسكرات مهما كان مقدارها قليلاً وجدت لها شركات التأمين على الحياة نفعًا كبيرًا فهي تتساهل مع الذين لا يتعاطون المسكرات ابدًا اكثر مما تتساهل مع الذين يتعاطونها ولو قليلاً . اي صار للامتناع عن شرب المسكرات قيمة مالية تقدرها شركات التأمين بالدرهم والدينار . وقد وصلت الى ذلك بعد اختبار طويل واستقراء دقيق وهذا ادلُّ دليل فعلي على ضرر المسكرات ولو وصفها الاطباء واطنبوا بمدحها ونفعها . فاذا عرض اثنان ان "يسوكرا" حياتيهما على مبلغين متساويين من المال وكان سنهما واحدًا واعمالهما واحدة وتساوت فيها كل الشروط التي تشترطها شركات "سوكرتا" الحياة ما عدا شرب المسكرات اي كان احدهما يشرب الخمور والآخر لا يشربها فان الشركة تفرض على الاول اكثر مما تفرض على الثاني لكي تسوكر حياتيهما على مبلغين متساويين . وان

دفعا مبلغين متساويين كل سنة ضمنت للثاني اكثر مما تضمن للاول كأَنها تقول بعبارة تجارية حسابية لا تقبل الشك ولا الريب انهُ قد ثبت لي بالاستقراء ان عمر الذي يشرب مسكرًا اقصر من عمر الذي لا يشرب مسكرًا فلا استطيع ان اعاملهما معاملة واحدة واكون بمأمن من الخسارة . ولا بدَّ للذي يشرب المسكر من ان يدفع لي سنويًّا اكثر مما يدفع مَن لا يشرب مسكرًا لكي اضمن حياتيهما على مبلغين متساويين من المال . وهذا وحدهُ يكفي لان يكون فصل الخطاب بين الذين يقولون بضرر المسكرات ولو كان مقدارها قليلاً وشربها معتدلاً وبين الذين يقولون ان لا ضرر منها حينئذٍ بل منها نفع

وهذا الحكم العملي التجاري المبني على الاستقراء يؤَيدهُ العلم ايضًا . قال الكولونل دافي احد اطباء الجيش الانكليزي في مقالة نشرت حديثًا في مجلة القرن التاسع عشر ان المسكرات تفعل بالطعام فلا يعود ينهضم بالسرعة التي كان ينهضم بها لولاها . وتفعل ايضًا باعضاء الهضم فتقسيها كما تقسي القطع اللحمية التي توضع فيها فلا يعود فعل الهضم سهلاً عليها واذا اختلَّ فعل الهضم اختلَّ فعل التغذية . وتضرُّ ايضًا بالرئتين والكليتين والكبد والدماغ

غير ان كثيرين يشربون المسكرات بالاعتدال ولا ينالهم من شربها ضرر ظاهر فيتخذون ذلك دليلاً على عدم الضرر من الشرب المعتدل . ولكن هل قاس احد قوة هؤُلاء الناس الجسدية والعقلية وهم غير شاربين للمسكرات بقوتهم الجسدية والعقلية وهم شاربوها . نعم انهم اذا اعتادوا الشرب فقد تضعف قواهم وتخمل عقولهم في الساعة التي اعتادوا الشرب فيها اذا امتنعوا عن الشرب حينئذٍ ولكن يحدث مثل ذلك بكل مَن يعتاد شيئًا ثم يفطم نفسهُ عنهُ حتى الافيون والحشيش لان اعصابهُ تصير تنتظر المنبّه او المسكن في الساعة التي اعتادتهُ فيها فتضطرب اذا قطع عنها ولكن اذا تكرر هذا الانقطاع مدة الفتهُ الاعصاب ولم تعد تضطرب منهُ

وبديهي ان المسكر جسم غريب يدخل الجسم بل هو سم يتعب الجسم فيجاهد الجسم للتخلص منهُ كما يجاهد للتخلص من سائر السموم التي تدخلهُ . وهذا الجهاد عمل شاقٌّ يذهب فيهِ جانب من قوَّة الجسم واذا تكرَّر دخول هذا السم يومًا بعد يوم فلا بدَّ من حصول الضرر اخيرًا

وربَّ قائل يقول اننا نرى الاطباء يصفون المسكرات في بعض الاحيان ويقولون ان لا بدَّ منها ولا يكتفون بوصف الضعيف الفعل كالخمر والبيرا بل يصفون القوي الفعل كالعرق والكنياك فكيف تقولون بضررها قولاً مطلقًا من غير قيد . والجواب ان الالكحول الذي هو العنصر الفعَّال في المسكرات على انواعها نافع في بعض الاحوال المرضية ولازم فيها دواء

لا غذاء وخير للطبيب ان يصف حينئذٍ الالكحول النقي نفسهُ لا امزجتهُ المعروفة بالمسكرات وهو اذا وُصف كذلك شربهُ المريض مكرهًا ولم يجد في شربهِ لذة ولا رأى في نفسهِ ميلاً اليهِ بعد الشفاء من المرض · بل انهُ لو شرب اطيب المسكرات دواء لما وجد في نفسهِ ميلاً اليها كما لو شربها للتلذُّذ بطعمها . اما ما يزعمهُ بعض الاطباء من ان المسكرات غذاء نافع فزعم قديم قوِّضت اركانهُ الآن . وليس الالكحول غذاء بل هو سمٌّ زعاف مثل سائر السموم ويجب ان يعامل مثلها يجتنب دوامًا ولا يستعمل الَّا اذا دعت الحاجة اليهِ دواء لان العلم والاستقراء قد اثبتا ذلك

مسكَّر المشمش

انتقِ المشمش الجيد وشقهُ قليلاً وانزع بزرهُ وضعهُ في اناء فيهِ ماء بارد وضع الاناء على النار حتى يغلي ثم زلَّ الماء عن المشمش وضع بدلاً منهُ ماء باردًا ومتى برد زلَّ هذا الماء عنهُ

وخذ لكل رطل من المشمش رطلاً من السكَّر وربع رطل من الماء اضفهُ الى السكر واغله حتى يصير قطرًا اذا اخذت قليلاً منهُ باصبعيك تجدهُ يخيط فضع المشمش فيهِ حينئذٍ واتركهُ على النار حتى يغلي وارفعهُ الى ان يبرد ثم ردهُ الى ما فوق النار حتى يغلي ثانيةً وصبهُ في اناء آخر واتركهُ الى اليوم التالي وزل القطر عنهُ واغلِ القطر حتى يصير ينتشر على الملعقة وصبهُ فوق المشمش واتركهُ اربعًا وعشرين ساعةً ثم زل القطر ثانية واغلهِ حتى يعقد اي اذا اخذت قليلاً منهُ بين اصبعيك وفتحتهما يصير خيطًا متينًا بينهما ، وحينئذ رد المشمش الى هذا القطر واغلهِ على النار ثم صب الجميع في اناء واتركهُ الى اليوم التالي · وزل القطر في اليوم التالي وابسط المشمش على لوح حتى يجف ورش عليهِ سكرًا ناعمًا ومتى جفَّ السكر عليهِ رش عليهِ سكرًا آخر ناعمًا

وما يقال عن تسكير المشمش يقال ايضًا عن تسكير الخوخ (الدراقن) والبرقوق (الخوخ) والكرز وما اشبه اي لا بدَّ من الاغلاء المتكرّر في قطر السكر حتى يحلَّ القطر محل كل الماء الذي في المشمش

التسكير المستعجل

اخبط بياض ثلاث بيضات او اربع حتى يصير رغوة كثيفة وضع الاثمار في هذه الرغوة دقيقة او دقيقتين ثم لتَّها في السكر الناعم وضعها على ورق في الهواء حتى تجف

رب السفرجل الشفاف

خذ السفرجل الناضج وقشرهُ وانزع البزر منهُ وما حول البزر وضعهُ في ماء بارد حالاً لكي لا يتغير لونهُ ثم اسلقهُ . ويوضع رطل ماء لكل رطل من السفرجل ومتى انسلق جيداً ضعهُ في كيس واعصرهُ ولا تبالغ في العصر لئلاَّ يخرج المربى غير شفاف ثم اضف الى كل رطل من عصير السفرجل ٣/٤ الرطل من السكر الابيض وحركهُ حركةً دائمة وهو على النار حتى ينعقد ويتم انعقادهُ في نحو عشرين دقيقة ثم ارفعهُ عن النار وصبهُ في القناني الواسعة الفم

الماء ونضارة الوجه

كتبت احدى السيدات تقول لا شيءَ يحفظ نضارة الوجه مثل الإكثار من شرب الماء النقي فعلى السيدة التي تريد ان تحفظ نضارة وجهها ان تشرب كثيرًا من الماء على الطعام وبين طعام وطعام سواءٌ كان باردًا او غير بارد ولا سيما في الصباح بعد القيام من النوم وفي المساء عند الذهاب للنوم ويحسن ان يضاف الى الماء عصير الليمون الحامض قبل النوم وعند القيام منهُ

ولا بدَّ لحفظ نضارة الجلد من خمسة امور الاول النظافة والثاني الطعام البسيط المغذي والثالث الهواء النقي والرابع الرياضة القانونية المعتدلة والخامس النوم الكافي فالنظافة تقتضي الاغتسال بالماء والصابون الجيد الذي ينظف الجلد. وغسل الوجه واليدين مرارًا كل يوم بالماء والصابون ويحسن ان يكون الماء فاترًا لا باردًا وان يذاب فيهِ قليل من الاملاح الطيبة الرائحة . والماء الذي يستعمل لغسل الوجه يجب ان يكون فاترًا ويصب فيهِ نقط قليلة من صبغة البنزوين فانها مقوية ومحسنة ثم يغسل الوجه بماء بارد بعد غسلهِ بالماء والصابون وينشف جيدًا ولا يحسن ان تضغط العينان لان الضغط عليهما يتلف استدارتهما ويكون التنشيف بالمنشفة من اسفل الى اعلى لا من اعلى الى اسفل ويحسن ان يصب في الماء قليل من ماء كولونيا

والإقلال من الطعام واجب كالاكثار من شرب الماء لان اكثر الناس يأكلون كثيرًا ويشربون قليلاً . والرياضة يكفي فيها ان تمشي المرأَة ثلاثة اميال كل يوم في الهواء النقي بسرعة لان المشي في البيت ليس رياضة. والنوم يجب ان يكون ثماني ساعات على الاقل كل يوم

اطعام الاطفال

يجب ان يكون لكل طفل ملعقة وشوكة وكباية وصحن خاصَّة بهِ لانهُ ان اكل هو واخوتهُ واخواتهُ من صحن واحد وبملعقة او شوكة واحدة وشربوا من كباية واحدة واصيب

احدهم بمرض معدٍ كالدفثيريا انعدوا كلهم منهُ

واقبح من ذلك ان تمضغ الطعام بفمك ثم تلقمهُ للطفل تسهيلاً لمضغهِ فتنقل اليهِ ما في فمك من جراثيم الامراض كالجراثيم التي تتلف الاسنان وجراثيم الزكام وجراثيم القيح وجراثيم السل وما اشبه

علّم الاولاد ان لا يعلكوا العلك دواماً ولا يضعوا رؤُوس اقلام الرصاص او اقلام الحجر في افواههم

لعوق التفاح

اسلق ١٢ تفاحة في الماء حتى تنضج جيداً ثم انزع قشرها وامرثها واعصرها بمنخل من الشعر على نصف رطل من السكر . واخبط بياض بيضتين واضفهُ الى التفاح الممروث واخبط الجميع معاً حتى يصير من ذلك لعوق ابيض فضعهُ في صحن من الزجاج للاكل

بابُ الزراعة

الشاي

قرأْنا في مجلة سينتفك اميركان نبذةً عن الشاي وما يستخدم لهُ وينتفع بهِ فاقتطفنا منها ما يأتي

لقد كاد الناس يجمعون على شرب الشاي ولكنهم لا يعرفون لهُ نفعاً غير اتخاذهِ شراباً وغير نشر نفاية مغليهِ فوق البسط والسجاد ليعلق عليهِ غبارها ثم يُرفع بكنسهِ عنها

اما في الصين فانهم يستخدمون اوراقهُ للكنس ايضاً ولكن لهُ عندهم منافع اخرى ففي الاقطار التي يقلّ فيها الوقود يجمعون النفاية حزماً على شكل الآجرّ ويجففونها ثم يستعملونها وقوداً والطعام او الشواء الذي يُعدّ على نارهِ ينال عندهم اعظم حظوة . ويتخذون رمادهُ سماداً ويستخدمون النفاية لمنفعةٍ اخرى قبل اتخاذها وقوداً ذلك انهم ينقعونها او يغمرونها بالماء البارد لتسترجع خواصها في الدباغة والصباغ فان الحامض التنيك فيها يبلغ نحو اثني عشر في المئة فاذا احرزوهُ دبغوا بهِ الجلود او صبغوا النسيج فيخرج الصباغ اسمر جوزياً جميلاً ثابت اللون لا يحتاج الى مادةٍ تزيدهُ ثباتاً ولا يبوخ بفعل الشمس ولا بالغسل او العصر

وفي مواضع اخرى يتخذون من النفاية علفاً للماشية انتفاعاً بحجمها لا بما تحوي من الغذاء وفوق هذا فانها اي النفاية تجفف وتمزج بادنى انواع الشاي وتعدّ للتجارة ومغلي هذا النوع ليس باعلى من الشاي المألوف عندنا شربةُ

ومن اعجب ما يستعمل لهُ الشاي المجفف في بعض انحاء الصين استخدامهُ عملةً وقد نوّه بذكر هذه المعاملة الغريبة غير واحدٍ من المؤلفين والسيّاح · ولم تزل هذه السكة جارية في اقصى داخلية الصين واخص مواضع استعمالها جنوبي البامير وتيبت وفي الشمال على مدى منغوليا والتخوم السيبرية . وقد خمنت قيمة المال الذي تتداولهُ الايدي بين مدينة اوركا من منغوليا ومدينة كياكتا من سيبريا بنحو نصف مليون ريال كلها من وريقات الشاي · وفي ما وراء مدينة كياكتا لا يتعاملون بهذه النقود بل يستعملون اوراق الشاي المجففة للتجارة لان هذا النوع منهُ يستعمل كثيرًا في الجيش الروسي ولا يحجم عن استعمالهِ السياح والمسافرون

ولقد نشرت المجلة التي نقتطف منها رسم قطعة من الشاي المستعمل سكةً بقيمة ريالين وقالت انها مصنوعة من انخر الانواع وهو الشاي الاسود وتراهم يكتبون عليها قيمتها وعلامة الحكومة او البنك الذي اصدرها فتقوم لديهم مقام القراطيس المالية ولا تنحصر قيمتها في الريالين بل تكون مختلفة المقادير

والشاي الذي يصدر من الصين للاتجار ليس من الانواع الفاخرة على ان بعض التجار الذين يستوردونهُ الى اوربا واميركا قد يطلبون من عملائهم نموذجاً من الفاخر فيرسلون اليهم قليلاً لا يعتمد في التجارة الاّ نادرًا لانّ اثمانهُ تتراوح بين ١٥ و ٢٠ جنيهاً الليبرة الواحدة بل بلغ ثمن شيءٍ منهُ بيع في لندن نحو ٤٥ جنيهاً الليبرة · فاذا اعتبرت ان الليبرة تنتج نحو مئتتي كأس من النقيع تبين لك مقدار غلاء الثمن وان هذا النوع الفاخر يكاد يعادل وزنهُ ذهباً

اما الشاي المستعمل من الزهر لا من الورق فقلّ ان تجد منهُ بين الاصناف التجارية وهم يتخذون من ورق الزهر ومدقاتهِ نوعاً آخر بتجفيفها في الشمس فاذا نقعت اعطت لوناً شديدا السمرة تتضوع منهُ رائحة لطيفة وتجد طعمهُ اكثر حرافة من طعم الوريقات العادية ولذلك لا يرجى ان يقبل عليهِ عامة الرغاب

اما النوع المسمى بحثاتة الشاي فرائج التجارة في اوربا بخلاف ما هو عليهِ في اميركا حيث يبيعونهُ لطلاّب الرخيص فلو جفف اقراصاً او على شكل الاجرّ كما هو الحال في الصين لراجت تجارتهُ اذ يصطنع منهُ شراب مقبول

وفي الصين يستعملون ضربًا من الشاي يسمونهُ بيجبكي شي اي شاي العذراء سموهُ كذلك لانهم يستعملونهُ في اعراسهم وهو وريقات النبات مجففةً في الشمس ومن ثمَّ تُربط بثلث قدد من الحرير الملوَّن · وهذا الضرب يستعمل بعد شرب نقيعهِ مكبوسًا في الخل ويؤْكل تابلاً

وهنالك ضربٌ اخر من الشاي لم يخرج من بلادهِ ولا عرفهُ الاوربيون والاميركيون الاَّ في الصين حيث ينبت في غربيها ولا ينتج منهُ الاَّ مقدار قليل لان القيام على زراعتهِ مكتومٌ في صدور زرَّاعهِ الذين توارثوا مناهج الاعتناء بهِ ابًا عن جد منذ قرون وحرصوا على كتمان سرهم · وميزة هذا الضرب من الشاي انهُ حلو المذاق من فطرتهِ والارجح ان حلاوتهُ مسببة عن التلقيح وعن اهتمام المزارعين الزائد والاعتناء بهِ ودرس خصائص نبتهِ

ولقد رأى العارفون باحوال الشاي ان نتاج الهند وسيلان يحدثان طعمًا ونكهةً تذهبان سريعًا بخلاف شاي الصين فان نقيعهُ اكثر ثباتًا في صفاتهِ وينسبون هذا لزراعة النبات في الهند وسيلان في مزارع وسيعة يقوم على الاعتناء بها جماعة من المستأْجرين الذين لا فائدة لهم من تحسين نوعهِ بينما ترى زراعتهُ في الصين يقوم بها افراد من الملاَّك يتخذون حقولاً صغيرة وكل حارث منهم يبذل وسعهُ ووقتهُ وما اوتي من المعرفة والذكاء في تحسين زرعهِ وتنميتهِ فيعرف خصائص نبتهِ ويتدبر في اصلاح ما يراهُ شاذًّا عن قصدهِ فلذلك توالت السنون وزادتهُ خبرةً وكان النتاج فاخرًا · وهذا الثبات في صفات الشاي الصيني هو الذي بلغ باثمانهِ حدًّا عاليًا ربما تجاوز العشرين جنيهًا في الليبرة مما لم يبلغهُ الهندي او السيلاني الاَّ ان المتحرين من الافرنج قد ادخلوا الى الصين طريقة الزراعة الهنديَّة انتفاعًا بسعة الحقول وخدمة المستأْجرين فكانت النتيجة ضعف الصفات التي امتاز بها الشاي الصيني ولا يزال مع ذلك افخر انواع الشاي م · ن

الرفق بالحيوان

الحكيم يراعي بهيمتهُ ويعتني بها لان ذلك يعود بالنفع عليهِ · ولقد احسن الفضلاء الذين انشأُوا جمعيَّة الرفق بالحيوان وفروعها في هذا القطر . وحبذا لو عمموها فلا تبقى مقصورة على دواب النقل كالخيل والبغال والحمير والجمال بل تتناول البقر والجواميس ايضًا حيث تستخدم في الحرث والتقصيب فان الفلاحين قد ينهكونها تعبًا ويشغلونها فوق طاقتها فيعود ذلك بالضرر عليهم . ومعلوم انهُ يتعذَّر على رجال الحكومة مراقبة اعمال الفلاحين في غيطانهم وليس من الحكمة التعرُّض لهم في اعمالهم الخصوصيَّة ولكن تتم الغاية المقصودة اذا ارسلت

جمعيات الرفق بالحيوان او الجمعيَّة الزراعيَّة مندوبين الى المراكز المختلفة حيث يجتمع عمد البلاد ومشايخها واعيانها فيشرحون لهم كيفيَّة تربية المواشي والاعتناء بها وما يترتَّب على ذلك من النفع لاصحابها · ثم ان الانسان يطلب الفائدة لنفسهِ ولا يتغاضى عنها اذا استطاع الحصول عليها . ومتى اعتنى كبار المزارعين بمواشيهم اقتدى بهم غيرهم من صغار المزارعين وليس في اقناع الناس بالاعتناء بمواشيهم صعوبة كبيرة لان كثيرين منهم يعتنون بها الآن وقد يفضل الواحد منهم بقرتهُ على ولدهِ ويعتني بنظافة بهيمتهِ اكثر ممَّا يعتني بنظافة نفسهِ وكم من مرة نرى الحمَّار مقيّلاً مع حمارهِ ورأسهُ على رأس الحمار او عنقهِ كانهما صديقان متحابان ولا يندر ان يبخل الحمَّار على نفسهِ ويطعم حمارهُ فلا يتعذَّر ارشاد اصحاب الدواب والمواشي الى الاعتناء بدوابهم ومواشيهم والرفق بها وان عاملوها بالقسوة فيكون سبب ذلك الجهل لاقصد الاضرار بها

الناموس في المزارع

الحمَّيات الملارية من اشد الضربات على البلدان الزراعيَّة فاذا كان في بلاد مليون نفس من المشتغلين بالزراعة ومرض كلٌّ منهم بالحمى عشرة ايام في السنة وهو اقل متوسط في البلدان الزراعيَّة وفرضنا متوسط اجرة الواحد منهم ثلاثة غروش في اليوم فخسارة البلاد من مرضهم ثلاثون مليون غرش او ثلثمئة الف جنيه أضف الى ذلك الخسارة الناتجة من تعطيل المواشي واعمال الزراعة تجد ان الضرر الناتج لبلاد زراعية كالقطر المصري لا يقلُّ عن مليون جنيه في السنة وسبب هذا الضرر نوع من الناموس (البعوض) فاذا عرف الناس كلهم هذه الحقيقة وعرفوا ايضاً ان الناموس يتولد في المياه الراكدة اذا كانت قليلة وتركت في مكانها اسبوعاً او اسبوعين لم يروا صعوبةً في التخلص من الحمى الملارية بمنع ركود الماء في البرك الصغيرة

ثم ان الحمى الملارية (الدورية) تتولد من نوع من الناموس لا من الناموس كلهِ وهذا النوع الذي يسبب الحمى قليل بالنسبة الى الناموس العادي ويمتاز عنهُ بان جسمهُ مرقَّط ويقف على الحائط عموديًّا عليهِ لا موازيًا لهُ كالناموس العادي فلا داعي للخوف من الناموس العادي وحسبانهِ من ناموس الحمى الملارية

ولكن الناموس العادي ينقل حمى اخرى وهي حمى الدنج او ابو ركب وهي دون الحمى الملارية في استمرارها لانها لا تستمر الَّا بضعة ايام ولكنها تصيب كل احد تدخل بيتاً وفيهِ

ستة او سبعة فتصيب كل واحد منهم لان الناموس ينقل الحمى من واحد الى آخر فيكون استئصال الناموس على انواعهِ امرًا واجبًا من حيث الصحة العمومية

ثم ان الناموس يقلق راحة الناس وراحة المواشي ايضًا حتى الجمال على ضخامتها تقلق منهُ وتعدم راحتها وكثيرًا ما رأَينا الفلاحين يحرقون الجلّة قرب مواشيهم ليطردوا الناموس عنها وهم لو اهتموا بمنع تولدهِ في البرك الصغيرة لكان ذلك اسهل عليهم

زراعة البساتين

اجتمعت جمعية زراعة البساتين التجارية في الجزيرة وتلي تقرير سكرتيرها فاذا فيهِ ان الجمعية تستطيع ان تنفق ٦٠٠ جنيه على مشترى اغراس جديدة في خلال الشهور الباقية من هذه السنة وستجلب من اغراس اجود انواع البرتقال والليمون من يافا وكرفو واسبانيا لتوزعها في القطر المصري

وجرت المذاكرة في زراعة المنجو فقد ثبت ان هذا الشجر يجود في القطر المصري وان القطر المصري هو البلاد الوحيدة التي يمكن ان ينقل ثمر المنجو منها الى اوربا فضلاً عن تزايد الطلب عليهِ في مصر . والربح من الاشجار الكبيرة كثير جدًّا ولكن اذا زرع المنجو من البزر فقد يخرج منهُ شجر جيد الثمر وقد يخرج منهُ شجر غير جيد الثمر فلا بدَّ من تطعيمهِ بنوع جيد . وقد وصل الى الجمعية اغراس كثيرة من الهند وستجلب اغراسًا اخرى اكثر منها

ثم دار البحث في نبات السيسل الذي تستخرج منهُ الياف متينة تستعمل كالقنَّب فانهُ يجود في الاراضي الرملية القاحلة ولا يحتاج الا الى قليل من الماء والطلب على اليافهِ كثير جدًّا في اوربا ويظهر من التجارب التي جرّبت في جهات القطة ان صافي غلة الفدان منهُ ١٨ جنيهًا في السنة . وقد اشار السكرتير بزرع مئتي فدان منهُ في التل الكبير

وجرى ذكر زراعة الموز والربح الكبير الناتج منهُ فان غلة الفدان قد تبلغ ثمانين او تسعين جنيهًا في السنة والمقطوعية كبيرة في القطر المصري ويمكن تصديرهُ الى اوربا

وستخصص الجمعية خمسة افدنة في الجزيرة لزرع الاشجار من انواع مختلفة حتى تنقل الاغراس منها الى البساتين

وقد ارتأى البرنس حسين باشا كامل ان يُعلّم بعض طلبة المدرسة الزراعية علم زراعة البساتين حتى يتولوا ادارة البساتين الكبيرة

باب المراسلة والمناظرة

حاجة من حاجات المدرسة الكلية الاميركانية في بيروت

حضرة العلامتين الفاضلين منشئي المقتطف

قرأت في باب المراسلة والمناظرة في الجزء الثالث من المجلد الثاني والثلاثين من مقتطفكم الاغر مقالة تحت عنوان "حاجة من حاجات المدرسة الكلية" لحضرة الاستاذين الفاضلين جبر افندي ضومط وبولس افندي الخولي · مقالة رشيقة المباني انيقة المعاني مآلها حث الذين تعلموا في المدرسة الكلية والذين علموا فيها من القطرين المصري والشامي من سنة ٦٧ الى حد هذه السنة على ان يتبرعوا بالمساعدات المالية لاقامة بناية خصوصية لراحة تلامذة تلك المدرسة لا تقل نفقاتها عن الثلاثين الف ريال اميركاني

وقد كنت اقرأ تلك المقالة وافكاري تتسابق لمعرفة نهايتها لارى كيف يتخلص الاستاذان الى استنهاض اخوانهم للسخاء في هذا السبيل حتى جئت علي آخرها فشعرت ببلاغة الختام وببراعة الاستاذين في تمنيقهِ حتى جاء آياتٍ لا نرى وصفًا يؤدي حقها الاَّ ان نقتبسها برمتها · قال الاستاذان اعزهما الله "هذا ملخص ما نشرهُ اخواننا الاميركان اثبتناهُ ببعض التصرف واما نحن المعلمين من ابناء العربية فقد رأينا ان نصدر اولاً هذه المقالة على صفحات شيخ المجلات ونبراسها الزاهر ونوجهها الى قرائهِ اخواننا من المعلمين وتلامذة الكلية اجمعين من سنة ٦٧ الى هذا الحين ونعرض لديهم هذه الحاجة ليتبصروا فيها ويمدونا بآرائهم واياديهم ثم نشفعها بكتاب مطبوع ننفذهُ الى كل منهم ونتابعهم باخبار المشروع وارتقائهِ حتى يستكملُ ويروا اياديهم في استكمالهِ · فيا ايها الاخوان الاعزاء اساتذتنا ورصفاءنا ورفاقنا ومتخرجي مدرستنا ومحبيها ابناء القطر المصري والشامي في مصر والشام والولايات المتحدة وكندا والمكسيك والبرازيل واستراليا وحيثما كانوا من جهات المعمور تبصروا في الامر وتصوروا ما يصنع لراحة اكثر من سبعمائة شاب من نخبة شبان سوريا ومصر وبعضهم من اخواننا او من ابنائنا او ابناء اصحابنا واقاربنا · تفكروا وليوفقكم الله الى كل خير. واما نحن اخوتكم المعلمينَ الآن في المدرسة فنؤمل ان يجاب نداؤنا كما يجاب نداء ارفاقنا من المعلمين الاميركان ولا نقول اكثر في بلاد اجنبية عنهم ولكنها مسقط رؤوسنا ورؤوسكم والسلام"

والحق يقال انها لعبارات تحرك الجماد وتؤثر في صلد الصخو وقد احسنت عمدة المدرسة بانتقائها مثل هذين الاستاذين في علمها وبراعتهما ويحق لها ولنا ان نباهي بمثلهما . على ان من راجع تاريخ المدرسة وتعقب معاملتها للاساتذة الوطنيين يستغرب صدور مثل هذا النداء من استاذين لم يعهد بهما المصانعة من قبلُ ويستبشر من ندائهما هذا بان عصر المدرسة الحاضر هو غير عصرها الغابر والاَّ فما كان الاستاذان ورفاقهما ينفخون في هذا البوق . وعليهِ فلا بد لنا من ان نسأَل الاستاذين الفاضلين الاسئلة الآتية ولهما الخيار في الجواب وعدمهِ

(١) هل المدرسة اميركانية او سورية

(٢) هل المعلمون من الاميركان اكثر من المعلمين من السوريين او بالعكس

(٣) كم عدد المعلمين السوريين الذين جعلتهم المدرسة اساتذة منها

(٤) هل رواتب المعلمين السوريين كرواتب المعلمين الاميركان او مدانية لها

(٥) هل الفائدة من هذه البناية راجعة الى التلامذة فقط

ونرجو الاستاذين الكريمين ان يجاوبانا عن هذه الاسئلة الخمسة فانهُ ان كانت المدرسة سورية كما تسمى وكان عدد المعلمين السوريين فيها اكثر من الاميركان وكان عدد الاساتذة من السوريين يضاهي عدة الاساتذة من الاميركان ورواتبهما متساوية وكانت فائدة البناية مقصورة على راحة التلامذة فالامر واضح حينئذٍ ان الاستاذين بندائهما هذا يحرضان اخوانهما على امر وطني محض وحريٌّ باخوانهما من الذين علموا وتعلموا في الكلية ان يلبوا نداءهما ويبذلوا المستطاع في سبيل تحقيق هذا المشروع النبيل والاَّ فاننا نستسمح حضرة الاستاذين ان نقول انهما مدفوعان الى مجاراة رفاقهما من الاميركان ولا تثريب عليهما في ذلك فهما يعملان بالقول المأْثور

ومن لم يصانع في امور كثيرة   يضرَّس بانيابٍ ويوطأْ بمنسمِ

على ان بقية اخوانهما من ابناء الكلية لا يلامون اذا لم يجاروهما في الغيرة التي يحاولان اضرامها في صدورهم . ولنا كلام بعد في هذا الصدد نرجئهُ الى ان نقف على جواب الاستاذين الفاضلين هذا اذا تكرما بهِ والسلام

احد متخرجي المدرسة

[المقتطف] نشرنا هذه الرسالة لانها تُعبّر عن آراء بعض متخرجي المدرسة ولكن ما دامت اموال المدرسة اميركية فلا حقَّ للسوريين ان يسيطروا على كيفيَّة انفاقها وما دام الغرض من هذا البناء النفع المحض فمساعدة القائمين بهِ واجبة عن كل حال

مسألتان رياضيتان

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

احييكم تحية تلميذ مخلص وبعدُ فقد كنت اراجع بعض الاجزاء الماضية من المقتطف فعثرت على مسألتين رياضيتين لم ارَ لهما حلاًّ فيهِ فبعثت بالحلين التاليين لهما

الاولى هندسية وهي واردة في الصفحة ٥٦١ من المجلد السادس عشر حيث قيل انهُ فرضت زاوية ونقطة خارجة عنها والمطلوب رسم خط مستقيم من تلك النقطة يقطع ضلعي الزاوية بحيث ان المثلث الذي يتكوَّن على هذه الكيفية يكون لهُ محيط معلوم

ليكن ل ز ك الزاوية المفروضة و ن النقطة الخارجية والخط ا ب محيط المثلث فنريد ان نرسم خطًّا من ن يقطع جانبي الزاوية ويكون مثلثًا محيطهُ يعدل الخط ا ب

لنفرض ان المسألة محلولة وان ن ج الخط المطلوب رسمهُ بحيث يكون محيط المثلث ج ى ز يعدل الخط المفروض ا ب

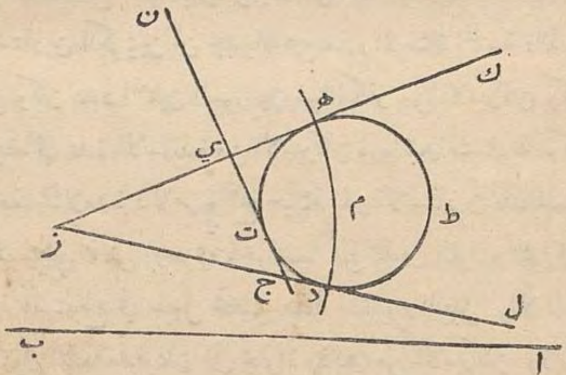

ارسم الدائرة ت د ط ماسة الخطوط ك ى . ى ج . ج ل في النقط ه ت د

فلنا : —

ي ه = ي ت
د ج = ج ت
ز ه = ز د

المماسّان المرسومان من نقطة خارج المحيط متعادلان

فاذًا زي + ي ه + زج + ج د = زي + ي ت + زج + ج ت

اي ز ه + ز د = زي + ي ج + ج ز = ا ب

وعليهِ ز ه = ز د = ا ب / ٢

ولاجل رسم الخط ن ج خذ ز مركزًا وارسم (قوس) دائرة قطرها يعدل الطول المفروض ا ب فتقطع جانبي الزاوية في ه و د

ارسم دائرة تمس ز ك و ز ل في ه و د ثم ارسم ن ج ماسًّا الدائرة ه ت د ط وهو ما اردنا رسمهُ من النقطة الخارجيَّة ن

الثانية مسأَلة اكلس والسلحفاة

في المجلد ١٦ وجه ٧٠٨

المسافات التي يقطعها اكلس ١٠٠٠٠ ١٠٠ ١ $\frac{١}{١٠٠}$ $\frac{١}{١٠٠٠٠}$ $\frac{١}{١٠٠٠٠٠٠}$ .. الخ

وبما ان اكلس اسرع من السلحفاة بمئة مرة ومطارد لها فهي تقطع في ذات الوقت $\frac{١}{١٠٠}$ من المسافة التي يكون قد قطعها هو وتبقى دائمًا سابقتهُ بجزء من مئة من المسافة التي يكون قد قطعها اي يكون بينهُ وبينها دائمًا ابدًا $\frac{١}{١٠٠}$ من المسافة التي يكون قد قطعها . وهذا الجزء من المئة هو مسافة في نظر المنطق والرياضيات كبيرًا كان ام صغيرًا وعليهِ لا يمكن ان يلحقها (او يلحقها في اللا نهاية من الوقت)

اما المسافة التي هي « حدّ » للمسافة التي يقطعها اثناء مطاردتهِ لها فتكون : —

$$١٠٠٠٠ + ١٠٠ + ١ + \frac{١}{١٠٠} + \frac{١}{١٠٠٠٠} + \frac{١}{١٠٠٠٠٠٠} \cdots\cdots \text{الخ}$$

$$= ١٠١٠١ + \frac{١}{١٠٠}\left(١ + \frac{١}{١٠٠} + \frac{١}{١٠٠٠٠} + \frac{١}{١٠٠٠٠٠٠} \cdots\cdots \right)$$

$$= ١٠١٠١ + \frac{١}{١٠٠}\left(١ + \frac{١}{١٠^{٢}} + \frac{١}{١٠^{٤}} + \frac{١}{١٠^{٦}} \cdots\cdots \right)$$

$$= ١٠١٠١ + \frac{١}{١٠٠}\left\{ \frac{١}{١ - \frac{١}{١٠^{٢}}} \right\} \text{(الكمية ضمن الحواصر سلسلة هندسية متصلة)}$$

$$= ١٠١٠١ + \frac{١}{١٠٠}\left\{ \frac{١٠٠}{٩٩} \right\}$$

$$= ١٠١٠١\frac{١}{٩٩}$$

هذا اذا نظرنا اليها من الوجهة الرياضية المجردة ولكن الواقع يختلف عنها كثيرًا لاستحالة اتمام الشروط والجري بموجبها وبما ان هذه المسأَلة من الامثلة الحسنة التي يمكن ان تقدم في تمهيدات كتب حساب التفاضل والتكامل فساوافي القراء الكرام انشاء الله في المستقبل بمقالة ابين فيها بعض خصائص هذا العلم السامي وتطبيقهُ على بعض ما هو مهم في الطبيعيات والميكانيكيات

منصور حنا جرداق

نائب استاذ الرياضيات

في القسم العلمي من الكلية السورية

اعجوبة البناء

حضرة منشئي المقتطف الكرام

دار ذات ست طبقات بنيت على ارض رخوة بالسمنت المربوط باسلاك الحديد · بعد ان تمَّ بناؤُها اصبحت مشرفة على السقوط بحيث يعجب من تماسكها ويبهت من متانة البناء · ثم بعد ذلك تدارك المهندسون امرها بان حفروا تحتها من الجهة المقابلة للميلان واثقلوا حيطانها باثقال فرجعت الى حالتها الاصليَّة ولم ينكسر منها ولا طبق بلور وقد مضى عليها الآن نحو سنة وهي على حالها من الاستقامة

الشاذلي بن فرحات
عامل الجريد

باب التقريظ والانتقاد

الجزءُ الثاني

من ديوان حافظ

شعراءُ العربيَّة مظلومون ككتَّابها لانهم ان احسنوا ترصيف الكلام واختاروا العربي الصميم والعبارات المنتقاة البعيدة عن الابتذال لم يفقه الجمهور لهم معنًى لان العربية المحكمة انحطت عند المتكلمين بها وبعدت عن المعربة بعدًا شاسعًا · وان تنازلوا الى العربية العاميَّة واخلُّوا بقاعدة من قواعد الصرف والنحو او استعملوا لفظة لم ترد في الجوهري والفيروزابادي قامت عليهم قيامة المنتقدين واتهموهم بانتهاك محارم العربية · ولو كان السواد الاعظم من المتكلمين بالعربيَّة يدرك معاني اللغة الفصحى كما يدركها بعض الخاصة لرأَيت اهالي مصر والشام والعراق وتونس والجزائر والمغرب الاقصى يستظهرون اشعار حافظ ومن جرى مجراهُ كما يستظهر الاوربيون اشعار النوابغ من شعرائهم. ولو تدانى شعراؤُنا الى اللغة العاميَّة لراجت دواوينهم اضعاف رواجها الحالي ولتغنى باشعارهم كل احد حتى حداة العيس ومستقيات الماء

والمتكلمون بالعربية واقفون الآن بين قوتين تتجاذبانهم — الكتَّاب والشعراءُ يحاولون تعويدهم فهْم اللغة العربية واستعمالها. والناموس الطبيعي الذي قضى بتغيير لغتهم رويدًا رويدًا يحاول ابقاءهم في خطتهِ ومقاومة كل تغيير كبير او انقلاب فجائي ، ونخاف ان تكون الغلبة

لهُ اخيرًا فتصير اللغة العربيَّة لدى ابنائها كاللاتينيَّة لدى الاوربيين ويكون لها اسوة باللاتينيَّة لغة العلم والفلسفة والفصاحة ولو قال حافظ “ بماتٍ لعمري لم يقس بماتِ ”

وتمتاز اشعار حافظ على اشعار اكثر النوابغ بسلاستها وعذوبتها وقلة الغريب فيها فاذا تعذر على العامي فهم قولهِ “ امة قد فتَّ في ساعدها ” لم يتعذر عليهِ فهم قولهِ

كنتُ اهوى في زماني غادةً   وهب الله لها ما وهبا
ذات وجهٍ مزجَ الحسنُ بهِ   صفرة تنسي اليهود الذهبا

ولقد عني بتفسير الكلمات الغامضة ولكن التفسير يراهُ القارئ ولا يراهُ السامع ولا تنتشر الاشعار ما لم تحفظ بالسمع

هذا وتمتاز هذه القصائد من اشعار حافظ بانها حوت تاريخ العصر او اشهر حوادثهِ بلفظ رشيق ومعنى انيق من ذلك قولهُ في وصف امبراطور اليابان

ملك يكفيك منهُ انهُ   انهض الشرق فهزَّ المغربا
بعث الامة من مرقدها   ودعاها للعلا ان تدأبا
فسمت للمجد تبغي شأوهُ   وقضت من كل شيءٍ مأربا

وقولهُ للامبراطورة اوجيني عند قدومها القطر المصري منذ سنتين مشيرًا الى الخديوي الاسبق اسمعيل باشا

اين يوم القنال يا ربة التاج   ويا شمس ذلك المهرجانِ
اين مجري القنال اين مميت المال   اين العزيزُ ذو السلطاني
اين ليث الجزيرة ابن عليّ   واهب الالف مكرم الضيفانِ

الى ان قال مشيرًا الى القصر الذي نزلتهُ في زيارتها الاولى

ربَّ بانٍ نأى ورب بناء   اسلمتهُ النوى الى غير بانِ
تلك حال الايوان يا ربة التاج   فما حال صاحب الايوانِ
قد طواهُ الردى ولو كان حيًّا   لمشى في ركابك الثقلانِ
وتولت حراسة الموكب الاسنى   نجوم السماء والنّيرانِ
ان يكن غاب عن جبينك تاج   كان بالغرب اشرف التيجانِ
فلقد زانك الزمان بتاجٍ   لا يدانيهِ في الجلال مداني

وابيات القصيدة كلها غرر الّا بيت “ الخان ” ولعلهُ اورده على هذه الصورة استدراجًا للاعتذار بطوارئ الحدثان

والشاعر لا يوآخذ اذا بالغ في الاقوال او غيرَّ الوانها والبسها صور الخيال فلا يلام حافظ على قولهِ

على الشرق مني سلام الودود   وان طأطأ الشرق للمغربِ
لقد كان خصباً بجدب الزمان   فاجدب في الزمن المخصب

وقولهِ

اروني نصف مخترعٍ   اروني ربع محتسبِ
اروني نادياً حفلاً   باهل الفضل والادبِ
وماذا في مدارسكم   من التعليم والكتبِ
وماذا في صحائفكم   سوى التمويهِ والكذبِ

ولكن المؤرخ لا يعذر اذا خاطب المحتلين قائلاً

جاء جهالنا بامرٍ وجئتم   ضعف ضعفيهِ قسوةً واشتدادا

وهو يعلم ان صاحب الحكم وطنيٌّ ابن وطني ومن اشد القضاة الوطنيين نزاهة ولو حكم بالعفو لعفي عن المجرمين حتماً . وقولهِ

لقد كان فينا الظلم فوضى فهُذبت   حواشيهِ حتى صار ظلماً مهذَّبا

الّا ان ما كان من هذا القبيل قليل في شعر حافظ وما بقي من الديوان فغرر ودرر تشهد بسلامة ذوقهِ وامتلاكهِ ناصية النظم وقيامهِ في المقام الاسنى بين شعراء العربيَّة

السنَد

رسالة تتضمن اهم الملاحظات في احكام السند (الكمبيالة) والسفتجة والحوالة مع صور كثيرة منها ومن الصكوك والاستدعاءات ومعاملات دائرة الاجراء وتعليمات محرري المقاولات وقانون الافلاس الخ . لواضعها حضرة عزتلو ملحم بك خلف الكاتب الاول في وكالة المدعي العمومي بمحكمة الاستئناف في متصرفية جبل لبنان

ولا يخفى ان المعاملات التجارية اهم الاعمال واذا جرى الناس فيها على قانون متَّبع خلصوا من مشاكل كثيرة يضيع فيها الوقت والمال . ولذلك احسن حضرة واضع هذه الرسالة في ما جمعهُ فيها من القواعد والامثلة والشروح القانونية والارشادات التي تحفظ بها الحقوق من الضياع كجعل السند رسمياً (اي تسجيلهُ) ونحو ذلك مما يرى في هذهِ الرسالة فهي لازمة لكل الذين لهم معاملات تجارية مهما كانت

التقرير المتيورولوجي لسنة ١٩٠٤

Meteorological Report for the year 1904. Part II.

لمصلحة المساحة المصرية ولمديرها العالم الفاضل الكبتن ليونس اكبر فضل على هذا القطر من حيث البحث في اموره الطبيعيَّة. واننا لنرى في كل تقرير تصدره هذه المصلحة دلائل العلم والبحث والتدقيق التي تؤدي اخيرًا الى معرفة الاحداث الجوية والخصائص الطبيعيَّة وما يترتب عليها من التحكم بماء النيل والتخلص من ضرر العوارض الجوية واكتشاف ما في اراضي مصر والسودان من الثروة الطبيعيَّة. ولدينا الآن تقرير مسهب عن الاحداث الجوية سنة ١٩٠٤ وارصادها في الاسكندرية وبورت سعيد والسويس والعباسية بالقاهرة والجيزة واسيوط واصوان ووادي حلفا وبربر وسواكن والخرطوم وود مدني والدويم وكسلا واديس ابابا وحلة دُليب وواو ومنقالا وحلوان وكدك والرصيرص والابيّض

و يقال فيهِ ان القطر المصري والقطر السوداني مقسومان الى اربعة اقاليم الاول الشمالي وهو مما يلي بحر الروم من الوجه البحري وتغلب فيهِ الرياح الشمالية الغربية وهي من الرياح التجارية وكان يجب ان تهب فيهِ من الشمال الشرقي لا من الشمال الغربي ولكن الحرارة في القطر المصري وبلاد العرب وبادية الشام تخفف الهواء في كل الجهات الجنوبيَّة والشرقية فيدعو حفظ الموازنة الى هبوب الرياح الباردة وتكون جهة هبوبها شمالية غربية. واذا مرَّت الزوابع في هذا الاقليم من الجنوب الى الشمال تبعها المطر في الشتاء والربيع

والاقليم الثاني متوسط بين الاول والثالث ويصل الى الدرجة ٢٧ من العرض الشمالي وتؤثر فيهِ برودة الاقليم الاول وحرارة الاقليم الثالث

والاقليم الثالث وراءهُ جنوبًا يصل الى الدرجة ١٨ من العرض الشمالي ولا يفعل بهِ هواء البحر المتوسط بل هواء الصحاري التي على جانبيهِ ووراءهُ وتهب فيهِ الرياح التجارية من الشمال الشرقي على مدار سنة ولا تهب فيهِ الرياح الجنوبية الَّا نادرًا وتقع فيهِ الامطار على اثر العواصف الكهربائية

والاقليم الرابع يشمل بقية السودان ويمتد الى الدرجة ٤ من العرض الشمالي وتفعل بهِ رياح الموسم التي تهبُّ في الشمالي الشرقي من قارة افريقية والرياح التجارية الشمالية الشرقية في باقي السنة وهي جافة كما ان الرياح الجنوبية كثيرة الرطوبة ويقع منها المطر

وفي الجدول التالي متوسط درجات الحرارة والرطوبة في كل شهر في العباسية وحلوان والاسكندرية والخرطوم

	العباسية		حلوان		الاسكندرية		الخرطوم	
	الحرارة	الرطوبة	الحرارة	الرطوبة	الحرارة	الرطوبة	الحرارة	الرطوبة
يناير	١١٫٣١	٧٢٫٧	١١٫٤١	٦٧٫٢	١٢٫٤٨	٧٥٫٦	٢٢٫٨٥	٣٢٫٩
فبراير	١٣٫٦٨	٧٣٫٥	١٤٫٣٦	٥٩٫٤	١٣٫٨٣	٧٩٫٠	٢٣٫٣٦	٢٥٫٦
مارس	١٥٫٢٥	٧٣٫٨	١٦٫٢٤	٥١٫٨	١٤٫٤٦	٧٧٫١	٢٦٫٥٢	١٨٫٣
ابريل	١٨٫٥٣	٧٢٫٥	١٨٫٨٦	٥٠٫٩	١٦٫٢٤	٨٢٫٠	٢٩٫٣٨	١٥٫٨
مايو	٢٢٫١٨	٦٥٫٢	٢٢٫٦٣	٤٦٫٣	١٨٫٨٦	٨٥٫٣	٣٢٫٦٣	٢٠٫٠
يونيو	٢٥٫٠٣	٥٩٫٢	٢٥٫٧٨	٤٣٫١	٢١٫٨٧	٨٣٫٢	٣٣٫٣٤	٢٤٫٨
يوليو	٢٦٫٩٢	—	٢٧٫٧٨	٤٣٫٧	٢٤٫٧٧	٧٤٫٢	٣١٫١٨	٤١٫٧
اغسطس	٢٦٫٥١	—	٢٦٫٦٧	٥٠٫٦	٢٤٫٩٤	٧٤٫٢	٣١٫٦١	٤٢٫٢
سبتمبر	٢٤٫٣٩	٧٧٫٢	٢٥٫٤٧	٥٤٫٠	٢٤٫٢٦	٧٢٫٢	٣١٫٣٦	٤١٫٤
اكتوبر	٢٣٫٤٢	٧٠٫٤	٢٤٫٤٢	٥٣٫٢	٢٣٫٢٧	٧٤٫٣	٣٠٫٦٢	٣٣٫٦
نوفمبر	١٧٫١٠	٦٥٫٦	١٧٫٠٠	٦٠٫٣	١٧٫٣٤	٧١٫٨	٢٦٫٦٤	٣٣٫٠
ديسمبر	١٢٫٥١	٦٦٫٠	١١٫٩٥	٦٣٫٣	١٣٫٥٦	٧٣٫٤	٢١٫٦٨	٣٥٫٠
المتوسط	١٩٫٧٣	٦٩٫٦١	٢٠٫٢٢	٥٣٫٦	١٨٫٨٢	٧٦٫٩	٢٨٫٦٩	٣٠٫٤

واعلى ما بلغتهُ الحرارة في الاماكن التي فيها آلات الرصد واوطأُ ما بلغتهُ ما تراهُ في هذا الجدول

المكان	الاعلى	الاوطأ	المكان	الاعلى	الاوطأ
الاسكندرية	٣٨	٥	وادي حلفا	٤٦	١
بورت سعيد	٣٥٫٦	٧	بربر	٣٦	٣
السويس	٣٩	٦	سواكن	٤٨	١٥
حلوان	٤٢	٣٫٥	الخرطوم	٤٥	٧
العباسية	٤٢	٣٫٥	ود مدني	٤٦	٩
الجيزة	٤١٫٥	١٫٤	الدويم	٤٧٫٥	٧
اسيوط	٤١	١	كسلا	٤٣٫٣	١٠
اصوان	٤٥	٣	الابيّض	٤٢٫٢	٤٫٤

وفي التقرير فوائد جمة ملخصة في مقدمة للمستر كريج مدير قسم الحساب في مصلحة المساحة

باب الاخبار العلمية

سكان القاهرة

نشرت ادارة الاحصاء التعداد الرسمي لسكان القاهرة فكان كما يأتي

القسم	ذكور	اناث	المجموع
عابدين	٢٧٣٩٤	٢٣٦٢١	٥١٠١٥
باب الشعرية	٢٨٧٦٢	٢٧٢٢٣	٥٥٩٨٥
بولاق	٤٥١٠٩	٤١٤٨٢	٨٦٥٩١
شبرا	٢٥٤٤٣	٢٣٨٠٩	٤٩٢٥٢
الدرب الاحمر	٣٧٧٨٩	٣١٤٨٨	٦٩٢٧٧
الازبكية	٢٥٢٥٦	٢٤١٠٩	٤٩٣٦٥
الجمالية	٣٣٥٠٩	٢٦٤٤٤	٦٠٩٥٣
الخليفة	٢٨٠٧٨	٢٥٩٧٠	٥٤٠٤٨
مصر العتيقة	١٧٠٧٠	١٤٤٥٥	٣١٥٢٥
الموسكي	١١٨٦٥	١٠٢٩٥	٢٢١٦٠
السيدة زينب	٣٠٥٢٥	٣١٣٩٥	٦١٩٢٠
الوايلي	٢٨٩١٣	٢٣٠٩٤	٥٢٠٠٧
حلوان	٣٩٨١	٣٨٦٣	٧٨٤٤
المجموع	٣٤٣٦٩٤	٣٠٨٢٤٨	٦٥١٩٤٢

وفي هذا التعداد محل للغرابة من وجهين الاول كثرة الفرق بين الذكور والاناث فان الذكور اكثر من الاناث عادةً كما ابنا غير مرة ولكن لا تكون زيادة الذكور على الاناث اكثر من ٣ في المئة الاَّ نادراً اما في القاهرة فبلغت الزيادة اكثر من عشرة في المئة ولا نرى لذلك سبباً معقولاً لان القاهرة ليست مدينة صناعية يتقاطر اليها العمال الذكور ولا عدد الجيش فيها كثير الى هذا الحد لان الزيادة بلغت اكثر من ٣٥ الفاً. ومن رأي البعض ان السكان يأنفون احياناً من ذكر اسماء نسائهم وبناتهم وبذلك تعلل قلة عدد الاناث

والوجه الثاني ان سكان القاهرة كانوا في الاحصاء السابق الذي تمَّ منذ عشر سنوات نحو ٥٧٠ الفاً وكانت زيادة المواليد على الوفيات في القطر كلهِ حينئذٍ ٢٫٦٧ في المئة سنويًا ولو زاد سكان القاهرة على هذه النسبة لبلغ عددهم الآن ٨١٣ الفاً وبلغ سكان القطر المصري كلهم نحو ١٤ مليوناً ولكن سكان القطر لم يبلغوا ٢ ؛ مليوناً ولذلك فالزيادة السنويَّة في العشر السنوات الماضية لم تكن سوى واحد ونحو اربعة اعشار في القطر كلهِ واذا كانت في العاصمة على هذه النسبة وجب ان يزيد سكانها نحو ٧١ الفاً فقط وقد زادوا بحسب الاحصاء الجديد اكثر من ذلك فلا غبار على الاحصاء من

هذا القبيل ولكننا نخلص من مشكل لنقع في غيرهِ وهو كيف كانت الزيادة السنويَّة بين سنة ١٨٨٢ و١٨٩٧ اي زمن الاحصائين السابقين ٢,٦٧ في المئة ولم تبلغ في العشر السنوات الاخيرة سوى نصف ذلك مع ان الاعتناء بالصحة الآن اشد من الاعتناء بالصحة حينئذٍ ولم تقع بالقطر اوبئة تميت الكثيرين من سكانهِ. وعليهِ فإما ان احصاء سنة ١٨٨٢ كان دون الحقيقة بكثير او ان احصاء هذا العام دون الحقيقة بكثير

الاتفاق الانكليزي الفرنسوي

لما نشرنا خطبة لورد كرومر في صدر هذا الجزء اضطرنا ضيق المقام الى حذف كثير من فقراتها وقد رأينا ان نعيد هنا فقرة متعلقة بالاتفاق الانكليزي الفرنسوي عن مصر وهي قال السياسي الطائر الصيت المسيو غمبتا الذي كانت ارادتهُ المتسلطة على العقول مدة تقلدهِ منصبهُ تؤثر في سير تاريخ مصر تأثيرًا دائمًا يوصي اهل بلادهِ "اياكم وان تقطعوا حبل المحالفة الانكليزية". ومذهبي في السياسة الدولية الذي يشاركني عدد عظيم من اهل بلادي فيهِ يمكن ان يعبر عنهُ بهذه العبارة : اياكم وان تقطعوا حبل الاتفاق الفرنسوي فان هذا الاتفاق الذي اشار اليهِ الكونت دوسريون بعباراتهِ اللطيفة مبني على اشتراك الفريقين في المصلحة وعلى قرب الجوار وتشابه النظامات السياسية واحترام كل فريق للآخر احترامًا ناتجًا عن تلاقيهما في ساحات الوغى كثيرًا واقتتالهما فيها شديدًا وعلى كون خصائص كل منهما وصفاتهِ مكملة لخصائص الآخر وصفاتهِ وزد على ذلك كلهِ انهُ ليس في هذا الاتفاق تهديد لاحد وانما هو صادر عن رغبة الفريقين في حفظ السلام في العالم فان كان في العالم امتان تقضي عليهما الاحوال بان تتصادقا وتتحابا فانما هما امتا فرنسا وانكلترا

فلا يخفى على اقل مبتدىءٍ في السياسة انهُ ما دامت هذه القرحة المصريَّة تنزُّ فصداقة تينك الامتين لا بدَّ وان تمسَّ ولذلك لما اتيت مصر سنة ١٨٨٣ عقدت نيتي على ان اسعى في سد هذه الثغرة بقدر ما تمكنني دائرة وظيفتي. وكان ذلك سعيًا شاقًّا كسعي الطالع جبلًا حاملًا ثقلًا فان الامتين قضتا الاعوام وكل منهما تنظر الى الاخرى شزرًا وقد دارت بينهما المضاربة والملاكمة القاسية ولكنها لم تتعدَّ والحمد لله حد الكلام ونلت انا نصيبي منها فقد ظللت زمانًا والجرائد الفرنسويَّة تذكر اسمي منعوتًا بنعوت الذم الَّا نادرًا. واظن ان اكثرها كان يلقبني بكرومر الوحش (Le brutal Cromer) وقد شبهتني مرة على ما اتذكر باعظم آلهة الوثنيين حبًّا لشرب الدماء حيث لقبتني بمولوك. ولكن مداعبات الجرائد هذه هي في

المناقشات السياسيَّة كالافاويه والتوابل في الطعام فتكسبها حياة وتزيدها نكهة ورونقاً فلا يحسن بالانسان ان يحفل بها كثيراً لا سيما وان زمانها قد مضى لحسن الحظ وانقضى وتغيرت لهجة الجرائد الفرنسوية حتى لقبتني مرة في هذه الايام بهذا الشيخ الجليل (Cet illistre viellard) على اني افرغت الجهد مدة اعوام كثيرة في المساعدة على عقد الاتفاق بين الامتين واقول الآن ان اسعد يوم من ايام خدمتي في مصر كان يوم ٦ ابريل سنة ١٩٠٤ الذي وُقّع فيهِ الاتفاق الانكليزي الفرنسوي

هيروغليف المكسيك

ان بعض سكان المكسيك القدماء كانوا يكتبون كتابة صورية كالكتابة المصرية القديمة من بعض الوجوه . وقد اهتمَّ العلماء من قديم الزمان بحل رموزها ومنهم الدكتور ارنست فورستمان فظهر لهُ ان اهالي المكسيك القدماء كانوا يعرفون كثيراً من الامور الفلكية وكانوا يرصدون الكواكب ويعرفون حركاتها ووجد في كتاباتهم العدد ٢٩٢٠ مكرراً كثيراً مع بعض الاشارات الفلكية فاستنتج انهُ يشير الى الايام التي يتفق فيها دوران الارض في فلكها ودوران الزهرة لان كل ثماني دورات من دورات الارض تعادل خمس مدات قانونية او اجتماعية من مدات الزهرة لان دورة الارض تعادل ٣٦٥ يوماً ومدة الزهرة القانونية ٥٨٤ يوماً والعدد المشار اليهِ آنفاً يعادل ثمانية اضعاف ٣٦٥ وخمسة اضعاف ٥٨٤ . فان كان اهالي المكسيك القدماء وصلوا الى هذه الدرجة من معرفة الحسابات الفلكية فعلمهم يفوق علم اكثر اهالي المشرق الآن ولكننا نظن ان العدد المشار اليهِ آنفاً ذكر لغرض آخر وان انطباقهُ على مدة دوران الارض واستقبال الزهرة جاء اتفاقاً

ثروة كارنجي

ذكر المستر ستد في مجلة المجلات الانكليزية انهُ لما اراد كارنجي اعتزال الاعمال عرض حصتهُ في كل ما يمتلكهُ من المعامل واملاكها بعشرين مليون جنيه وتعهد سمسار ان يبيعها لهُ بهذا الثمن في وقت محدود والاَّ دفع اليهِ مليون ريال غرامة فلم يستطع ان يبيعها لهُ في الوقت المحدود ودفع الغرامة وفي السنة التالية قام بيربونت مورجان وعرض على كارنجي ستين مليون جنيه ثمن حصتهِ لكي يخلص من مناظرتهِ لشركة الفولاذ التي انشأها فكسب كارنجي بهذه الصفقة اربعين مليون جنيه لم يتعب اقل تعب في تحصيلها كأنها هبطت عليهِ من السماء . وصدق فيهِ القول القائل من معهُ يعطى ويزاد . وقال المستر ستد ان المستر

كارنجي نجح نجاحاً تامًّا في كل اعمالهِ الاَّ في عمل واحد ارادهُ فلم يفلح فيهِ وهو انهُ اراد ان يقلل ثروتهُ فلم يستطع بل هي تزيد دوامًا رغمًا عمَّا ينفقهُ منها · وقد وهب حديثًا هبتين كبيرتين كل هبة منهما مليونا جنيه ولكن زادت قيمة اسهمهِ التي هي ثروتهُ الآن عشرة في المئة فكأَنهُ وهب اربعة ملايين جنيه فكسب بدلاً منها ستة ملايين جنيه وزادت ثروتهُ مليوني جنيه · وهو يقول انهُ من اشقى الناس ويود ان يكون فقيرًا ليخلص من متاعب الغنى

بركان سترمبلي

اعلن مرصد كتانيا انهُ في مساء العاشر من شهر مايو ثار بركان سترمبلي وقذف بالحجارة والرماد والحمم الى الجهة الشرقية من الجزيرة واحرق بعض الكروم · وبركان اتنا ثائر ايضاً

جائزة مدام كوري

منحت دار العلم الملكية ببلاد الانكليز جائزة من جوائزها وقدرها مئة جنيه لمدام كوري على رسالة انشأَتها موضوعها البحث في المواد المشعَّة · وليس العبرة بمقدار الجائزة بل العبرة في انها دلَّت على ان مدام كوري امتازت على كل علماء العصر في هذا البحث العلمي

مدرسة جنيفا الجامعة

ستحتفل مدرسة جنيفا الجامعة سنة ١٩٠٩ بمرور ٣٥٠ سنة منذ انشأَها جون كلفن سنة ١٥٥٩ ويحق لها الاحتفال لانها ربَّت علماء اعلامًا تفتخر بهم كل بلاد

عيد لينيوس

واحتفلت اكادمية العلوم بنيويورك في ٢٣ مايو الماضي بمرور مئتي سنة على ولادة لينيوس العالم النباتي وتلي في الاحتفال خطب كثيرة علميَّة

حمى مالطة ولبن المعزى

ظهر بالبحث ان السبب الاكبر لانتشار الحمى المعروفة بحمى مالطة هو شرب لبن المعزى ولما منع جنود الحامية الانكليزية من شرب لبن المعزى لم تعد الحمى تصيب احداً منهم

حرارة الشمس

أُعيد البحث في حرارة قرص الشمس فكانت النتيجة انها ٥٦٦٣ درجة في مركز قرص الشمس واذا اعتبر مقدار الامتصاص في جو الشمس فحرارة باطن الشمس ٦١٣٠ درجة

سكك الحديد في الدنيا

طول سكك الحديد في اميركا ٣٠٠٠٠٠ ميل وفي اوربا ٢٠٠٠٠٠ ميل

وفي اسيا ٥٠٠٠٠ ميل وفي استراليا ١٧٠٠٠ ميل وفي افريقية ١٥٠٠٠ ميل · وفي البلاد الانكليزية وحدها ٢٣٠٠٠ ميل اي اكثر مما في كل قارة افريقية ونحو نصف ما في كل قارة اسيا

عظماء اميركا

اختار احد المحررين واحدًا وثلاثين من مشاهير الاميركيين في هذا العصر رجالاً ونساء وطلب اليهم ان يكتب كلٌّ منهم اسماء اشهر عظماء اميركا ثم جمع الاسماء او الاصوات فوجد ان الواحد والثلاثين ذكروا لنكن وثلاثين منهم ذكروا وشنطون ويتلوهُ فرنكلين فقد اصابهُ ١٨ من الاصوات واصاب ركفلر صوت واحد · فلا يزال المقام الاول في عيون الناس للفضيلة لا للثروة

فضائل برتلو

نشرت احدى المجلات الانكليزية ترجمة برتلو وقالت فيها انهُ لم يسجل اكتشافًا من مكتشفاتهِ ولا اختراعًا من مخترعاتهِ ولو سجَّل بعضها لجمع ثروة تقدَّر بالملايين الكثيرة · وذكرت ان صانعي الخمور في شمالي فرنسا عرضوا عليهِ مرة مليوني فرنك اذا خصَّ بهم استعمال اكتشاف واحد من مكتشافهِ فابى · وانهُ اكتشف طريقة في استعمال غاز الضوء اقتصدت بها باريس وحدها مئات من ملايين الفرنكات ولكنهُ اعلنها واباح استعمالها لكل احد من غير ان ينتفع بغرش منها

هبوط اسعار الاسهم

يقال ان هبوط اسعار الاسهم المصرية الذي حدث في الشهر الماضي انقص قيمتها اثني عشر مليونًا من الجنيهات · ومهما كان هذا المبلغ كبيرًا لا يعدُّ شيئًا مذكورًا بالنسبة الى ما حدث في الولايات المتحدة الاميركية فان الهبوط الذي حدث فيها منذ شهرين انقص قيمة اسهم شركاتها ٤٠٠ مليون جنيه

لحم الكلاب

تجيز القوانين الالمانية اكل لحم البقر والغنم والمعزى والخيل والحمير والبغال والكلاب · واكل لحم الكلاب حديث في المانيا واكثر شيوعهِ في سكسونيا وهي تُذبح في مذابح الخيل ويباع لحمها كما يباع لحم الخيل وقد ذبح في سكسونيا ٤٦٨ كلبًا سنة ١٨٦٩ و١٢٦٠ كلبًا سنة ١٩٠٠ و٢٥٠٢ سنة ١٩٠١ و٢٨٦٩ كلبًا سنة ١٩٠٢ · ويقال ان لحم الكلاب اقل غذاء من لحم الخيل وهو عرضة للامراض التي تصل منهُ الى آكليهِ ولذلك لا يسمح ببيعهِ الاَّ بعدما يفحصهُ طبيب من قبل الحكومة ويتحقق انهُ خالٍ من جراثيم الامراض

فهرس الجزء السادس من المجلد الثاني والثلاثين

٤٣٣ لورد كرومر (مصوَّرة)
٤٤١ تاريخ المكروب . للدكتور امين ابو خاطر
٤٤٩ حقوق الأُمم . لسامي افندي الجريديني المحامي
٤٥٢ المحاضرة الشعريَّة . لرشيد افندي عطيه
٤٦١ جرينلندا . لأَدمون افندي زلزل
٤٦٥ الماس الطبيعي والصناعي
٤٦٩ اليابان والاستعراض البحري
٤٧١ الفلسفة العملية
٤٧٤ خطبة شيشرون في المحاماة عن ليكاريوس . للاستاذ سعيد الخوري الشرتوني
٤٨٥ الشعر ومصلحة الامة . ش . ف
٥٨٧ كانت سورية مدرسة اوربا . ر . م
٤٩٤ البريد المصري (مصوَّرة)

٤٩٦ باب تدبير المنزل * الاشربة الروحية . مسكر المشمش . التسكير المستعجل . رب السفرجل الشفاف . الماء ونضارة الوجه . اطعام الاطفال . لعوق التفاح
٥٠١ باب الزراعة * الشاي . الرفق بالحيوان . الناموس في المزارع . زراعة البساتين
٥٠٦ باب المراسلة والمناظرة * حاجة من حاجات المدرسة الكلية الاميركانية في بيروت . مسأَلتان رياضيتان . اعجوبة البناء
٥١٠ باب التقريظ والانتقاد * الجزء الثاني من ديوان حافظ . السند . التقرير المتيورولوجي لسنة ١٩٠٤
٥١٥ باب الاخبار العلمية * وفيهِ ١٥ نبذة

رواية اميرة انكلترة ملحقة بالمقتطف